القرآن: المعجزة الخالدة

كَلا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ (5) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8)

مولانا وحيد الدين خان

نشر لأول مرة عام 1999م وأعيد طبعه 2021م وترجمت من قبل أ.د.فريد غانم

النسخة الأردية: أزمات – إي – قرآن

بريد إلكتروني:info@goodwordbook.com

مركز السلام والروحانية الدولي

نظام الدين وست ماكيت نودلهي -110013

بريد إلكتروني:info @cpsglobal.org

www.cpsglobal.org

Good word Books

دلهي إن،سي،آر هند

بريد إلكتروني: info@goodwordbooks.com

www.goodwordbooks .com

مركز السلام والروحانية الدولي الولايات المتحدة الأمريكية

2665 شارع باي بيري بن سليم،PA19020

بريد إلكتروني: kkaleemuddin@gmail.com

طبع في الهند

محتويات

مقدمة

تناقش هذه المجموعة بإيجاز جانبين من جوانب القرآن الكريم

أولا:كونه في حد ذاته دليلا على أنه كتاب الله.

ثانيا: كونه محفوظا في هيئتها الأصلية كما أنزل على النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم في القرن السابع الهجري.

كانت هناك رسالات سماوية أوحاها الله سبحانه وتعالى على رسله، وتم تقييدها كتابيا من قبل أتباع الرسل أنفسهم قبل نزول القرآن الكريم.

ثم ماالذي ميّز النص القرآني المقدس في المقام الأول عن أسلافه من الكتب السابقة؟ ليس فقط كونه أنه أنزل كاملا، وأنزلت الكتب الأخرى غير مكتمل.

تصنيف هذه الكتب بهذه الطريقة من شأنها عن ترقى إلى التمييز بين الأنبياء أنفسهم، وهذا ليس من الإنصاف في شيء.

إذن ماهو وصفه المميّز الفريد؟ هناك صفة واحدة بسيطة ولكنها عظيمة.

لم يُعبث بالنص القرآني، في حين أن جميع الكتب الأخرى، فقدت- **منذ زمن بعيد**- هيئتها الأصلية، ومحتوياتها مما يعني فقدانا رهيبا للأصالة و الموثوقية.

هذه الصفة الفريدة و كونه مصانا بالكامل،ما جعله مميّزا عن نظائره من الكتب السابقة كوسيلة إلهية للهداية والنجاة التي ستظل باقية إلى قيام الساعة.

إن حراسة القرآن وحفظه كانت مهمة عويصة تطلب مهارة وتفانيا عظيمين، ولذلك كانت هي أعظم مهمة في هذا العصر على الإطلاق،هذا العمل البطولي الفذّ اكتسب أهمية في سياق فقدان النصوص المقدسة السابقة التي لم تبق على أصالتها،لقد ظل القرآن الكريم وحده محفوظا بالكامل من بين الكتب المنزلة من الله تبارك وتعالى.

لله القوة القاهرة المطلقة على كل شيء،فإذا كان الله سبحانه قد أعطى الإنسان الحرية طوال وجوده في هذه الحياة،فذلك من أجل اختباره، لذلك إذا قام الإنسان بتحريف الكتب المقدسة،بل وأهملها، فذلك لأنه اختار إساءة استخدام هذه الحرية.

أخيرا كنعمة استثنائية على الإنسان، تولى الله سبحانه بتنفيذ قدرته في حفظ هديه للأجيال القادمة.

هكذا- انتصر النبي صلى الله عليه وسلم في صراعه مع المعتدين الظالمين- بعون الله وتوفيقه،وفي إطاره نستقبل عصرا جديدا في تاريخ العالم.

لقد نجحوا في استبدال عالم قديم بعالم بآخر جديد بإخلاصه الثابت للحقيقة، وهذا بدوره منح ضمانا أبديا للحفاظ على القرآن.

وحيد الدين خان.

حجج القرآن الكريم

الفصل الأول

القرآن كتاب الله

لما قال النبي صلى الله عليه وسلم بأن القرآن وحيُ أوحاه الله إليه لهداية البشرية جمعاء.

كان هناك كثيرون ممن لم يؤمنوا به زعما منهم أن الكتب ليست من الله، بل من صنع البشر أنفسهم.

وقد تحدى القرآن الكريم المتشككين طالبا منهم أن يأتوا بمثله قال تعالى:

((**فليأتوا بمثله**)) (٣٤:٥٢) إن كان ماقالوه حقا، وأتبع على ذلك،بعبارات لا لبس فيها أنه وإن بذل كل البشر والجانّ جهودا متضافرة جماعية لإنتاج كتاب مثل القرآن الكريم، فإنهم سيفشلون فشلا ذريعا في محاولاتهم تلك.

وجاء ذكر ذلك في سورة الإسراء قال تعالى:(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن،لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا)

القرآن متسم بالتحدي الدائم لكل البشر تحت أديم السماء إلى يوم القيامة.

والسؤال هنا هو: ماهي الخصائص التي يمتلكها هذا الكتاب ليجعله لايُضاهى.

وقد ورد في القرآن عدة جوانب من خصائصه،إحداها:**اتساقه،** وذلك من قوله تعالى في سورة النساء (**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)الآية: ٨٢**

قام البروفيسور أريبري بترجمة الكلمة العربية (**اختلاف**) بأنه:**التناقض**. وتشمل معان أخرى:(**التعارض،التغاير،التباين**)

الاتساق الكلي صفة نادرة للغاية، وهي صفة مطلقة لله تبارك وتعالى، ولذلك ليس بمقدور أي إنسان أن يؤلف عملا لاتعارضرفيه أو تناقض، وحتى يكون العمل خاليا من المساوئ، يجب أن يكون لدى القائم بذلك إلهام بهذه المعرفة بحيث تشمل معرفته الماضي والمستقبل وتحيط بجميع الكائنات على وجه البسيطة.

يجب ألا يكون هناك أدنى شك في إدراكه للطبيعة الجوهرية للأشياء.

وزيادة على ذلك،يجب أن تستند معرفته على العلم المباشر، وليس على المعلومات الواردة بشكل غير مباشر من الأخرين.

وهناك خاصية فريدة أخرى يجب أن يمتلكها وهي: قدرته على رؤية الأشياء ليس من منظور متحيز، ولكن كما هي بالفعل.

إن الله وحده سبحانه هو من يملك هذه الخصائص اللامتناهية، ولهذا السبب سيظل كلامه خاليا من التضاد.

ومن ناحية أخرى ،فإن عمل الإنسان يشوبه دوما النقص،وذلك لكونه ناقصا في حد ذاته، وليس بمقدوره أن ينجز عملا خاليا من العيوب.

التناقض في فكر الإنسان: ليس من قبيل الصدفة أن يكون عمل الإنسان محفوفا بالتناقض، إنه أمر لامناص منه، بالنظرإلى القيود المتأصلة في النشاط الدماغي البشري، هذه هي الطبيعة البشرية التي لايسعها إلا القبول بعلم خالقها، وأي نظرية لا تتفق مع علم الله، فلن يكون لها وجود في الكون، لأنها ستناقض نفسها مع الكون وذلك لعدم اتساقها مع نمط الطبيعة.

لهذا السبب،فإن التناقض الفكري مرتبط بكل النظريات الإنسانية.

وسوف نوضح هذه النظرية بعدة أمثلة في السطور التالية:

- **الداروينية**

تشارلز داروين (١٨٠٩ – ١٨٨٢) وعلماء آخرون من بعده/ طور نظرية التطور من خلال ملاحظاته للكائنات الحية،وأنّ الأشكال المختلفة من الحياة الموجودة على الأرض تختلف بعضها عن بعض من ناحية النظرة الظاهرية، ومع ذلك فإنها من الناحية البيولوجية، فقد وجدوا تشابها كبيرا مع بعضها البعض. هيكل الحصان على سبيل المثال، عند وقوفه على أرجله الخلفية،لايختلف عن إطار الإنسان.

ومن هذه الملاحظات،توصّلوا إلى الاستنتاج أن الإنسان لم يكن نوعا منفصلا- ولفترة طويلة - مع الحيوانات الأخرى،فقد نشأ من جين مورِّث عام

كانت جميع المخلوقات ضمن عملية تطورية عظيمة عبر مراحل متتالية من التطور البيولوجي، بينما الزواحف، ورباعي الأرجل، والقردة، كانت في مرحلة بدائية من التطور، وكان الإنسان في مرحلة متقدمة.

ظلت هذه النظرية سائدة لمائة عام مسيطرة على الفكر البشري،ولكن كشفت تحقيقات أخرى أن بها مآخذ، وأنها لاتتناسب كليا مع إطار الخلق بطرق أساسية معينة،فقدت اصطدمت النظرية بنظام الكون ككل،على سبيل المثال: هناك مسألة عمر الأرض: فمن خلال الحسابات العلمية،فقد قدَر عمرها حوالي **اثنين مليون ألف سنة**،هذه الفترة قصيرة جدا لاستيعاب عملية التطور حسب تصور **داروين**.

لقد ثبت علميا أنه يتطلب تطور مركب واحد فقط من جزئي البروتين،سيستغرق أكثر من **ملايين وملايين** السنين.هناك أكثر من مليون نوع مختلف من أنواع الحياة الحيوانية على الأرض،ومالا يقل عن مئتي ألف نوع نباتي متطور بالكامل.

كيف يمكن لجميعها أن تتطور في ألفي مليون سنة فقط؟ ولاحتى حيوان متدني من منظور الفكر التطوري،يمكن أن يكون قد تطور في ذلك الوقت، ناهيك عن الإنسان الذي يعتبرمن نوع حيوان متقدم الذي يمكن أن يتطور إلا بعد مرور مراحل لاتحصى من التطور.

عالم رياضيات: باسم البروفيسور باتو:الذي أجرى بعض الحسابات المتعلقة ببيولوجيا التغييرات التي تفترضها نظرية التطور.

بالنسبة له، حتى الغيير الطفيف في أي نوع، سيستغرق مليون جيل ليكتمل.

من هذا المنطلق، يمكن للمرء أن يتصور المدة التي ستنقضي قبل أن يتحول الكلب – على سبيل المثال- إلى الحصان.

التغييرات المتعددة التي تنطوي عليها مثل هذه العملية التطورية،قد تستغرق العملية التطورية وقتا طويلا من أجل حدوثها خلال عمر الإنسان في العالم.

كما قال **فريد هويل** في كتابه:الكون الذكي، يمكن رؤية كيف تتراكم المعلومات الجينية ببطء شديد عن طريق التجربة والخطأ من مثال بسيط. لنفترض، بشكل متحفظ للغاية، أن بروتينا تم ترميزه بواسطة جزء صغير في مخطط الحمض النووي،إن عشرة من الروابط الكيميائية في الحلزوان المزدوج،إذا لم يكن جميع الروابط العشرة في التسلسل الصحيح، فإن البروتين من الحمض النووي لا يعمل.

بدءا من كل عشرة أخطاء، كم عدد الأجيال من النسخ يلزم أن ينقضي قبل جميع الروابط – وبالتالي- يأتي البروتين الصحيح من خلال أخطاء عشوائية.

يتم احتساب الإجابة بسهولة من معدل الخطأ في نسخ روابط الحمض النووي، وهو رقم تم تحديده بالتجربة للحصول على التسلسل الصحيح لعشرة روابط عن طريق الخطأ في النسخ،سيتعين على الحمض النووي إعادة إنتاج نفسه، في المتوسط حوالي مائة مليون فرد من النوع، ينتج جميعهم ذرية، وسيستغرق الأمر مليون جيل قبل أن يأتي عضو واحد بالترتيب المطلوب.

وإذا كان هذا يبدوا تقريبا ضمن حدود الاحتمال، ففكر فيما يحدث إذا كان البروتين أكثر تعقيدا، وكان عدد روابط الحمض النووي اللازمة للتشفير يقفز من عشرة إلى عشرين، عندها ستكون هناك حاجة إلى ألف مليار جيل، وإذا تطلب الأمر مائة روابط **(كما هو الحال غالبا)**،فإن عدد الأجيال تكون عالية بشكل يستحيل معه إيجاد كائن يتكاثر بالسرعة الكافية لتحقيق ذلك.

وضع نظرية الداروينية الجديدة ميؤوس منه بوضوح. قد يكون من الممكن تعديل الجينات قليلا أثناء التطور، لكن تطور تسلسل محدد من روابط الحمض النووي بأي طول ملموس غير ممكن (صـ ١١٠)

وعلى أية حال، كما ذكر **هويل** سابقا، عمليات خلط شفرة الحمض النووي غير مواتية، لأنها تميل إلى تدمير المعلومات الوراثية الكونية بدلا من تحسينه، لحل هذه المشكلة، هناك نظرية أخرى تم تشكيلها تسمى بـ:**نظرية التبذر الشامل**، وترى بأن الحياة نشأة في الفضاء الخارجي، ومن هناك جاء إلى الأرض، ولكن كما اتضح، فقد أثارت هذه النظرية مشاكل جديدة تتعلق بهذه النظرية، وهي: **أين يوجد في الفضاء الشاسع كوكب أو مع الظروف اللازمة لتطور الحياة؟** على سبيل المثال، لايوجد شيء أكثر أهمية من الماء، لايمكن للحياة أن تستمر بدونه، ومع ذلك لا أحد يعرف في أي مكان في الكون كله باستثناء الأرض حيث يوجد فيه الماء.

وهنا نجد ثمة مجموعة من المثقفين الذين فضلوا نظرية التطور الناشئ، والتي بموجبها نشأت الحياة – أو أشكالها المختلفة- فجأة، ولكن هذه النظرية خالية

من المضمون،كيف يمكن أن يكون هناك ظهور مفاجئ للحياة دون تدخل قوة خارجية؟ لذلك عدنا إلى حيث بدأنا مع القوى الخارجية – الخالق- لاستبعاد كل هذه النظريات التي تم اختراعها في الأصل.

حقيقة الأمر هي دون اتخاذ الخالق في الاعتبار، لايمكن للمرء أن يعطي تفسيرا صحيحا، ببساطة، لايوجد نظرية أخرى تتناسب مع نمط الكون، في حين تتعارض النظريات الأخرى مع طبيعة الحياة وتفشل في ترسيخ جذورها.

من المهم بالفعل أن علماء بارزين من مختلف المجالات يعتقدون أن من المناسب المساهمة في موسوعة الجهل التي تم إنشاؤها في لندن، والكتاب يحتوي على المقدمة التالية(**موسوعة الجهل**) حوالي **٦٠** عالما مشهورا قاموا بمسح مجالات البحث المختلفة في محاولة للإشارة إلى فجوات عميقة في معرفتنا للعالم.

مايرقى إليه هذا العمل حقا هو اعتراف أكاديمي بحقيقة أن خالق العالم صنعه بطريقة لايمكن تفسيره بأي تحليل ميكانيكي.

على سبيل المثال: كما كتب **جون ماينارد ثميت**، من أن نظرية التطور تكتنفها بعض المشكلات ((الداخلية)) ويبدو أنه لايوجد حل لهذه المشاكل،فكل ماعلينا التثبث به هو النظريات،وأنه بدون أدلة مقنعة، لاسبيل لدعم نظرياتنا المجردة.

وفقا للقرآن، فإن الله سبحانه هو خالق الإنسان وجميع أشكال الحياة الأخرى، بينما تقول نظرية التطور أنها كلها جاءت نتيجة عملية ميكانيكية عمياء، والتفسير القرآني يرى بأن الله هو الفعّال لما يريد، فهو الخالق لما يشاء بدون موارد مادية.

والعكس صحيح مع نظرية التطور والتي تستلزم أن يكون هناك سبب لكل مايحدث، في حين لايمكن العثور على مسبب هذه الأسباب، مايؤدي إلى ترك نظرية التطور بدون تفسير- في فراغ فكري، كما يمكن للمرء أن يقول، بينما لايمكن قول الشيء نفسه عن تفسير الحياة الذي قدمه القرآن.

الفلسفة السياسية: وينطبق الشيئ نفسه على الفلسفة السياسية، ووفقا لطبعة **١٩٨٤** من موسوعة بريتانيك(تطورت الفلسفة السياسية والصراع السياسي حول من يجب أن يكون له سلطة على من(**١٤/٦٩٧**)

منذ خمسة آلاف عام وجهت أدمغة بشرية بارزة جهودهم نحو إيجاد حل لهذا السؤال، ورغم ذلك، مازالو غير قادرين على إنتاج ما أسماه **اسفينوزا بـ "القاعدة العلمية"** التي يمكن على أساسها تكوين فلسفة سياسية متماسكة.

إجمالا، هناك أكثر من اثنتي عشرة مدرسة للفكر السياسي، والتي تنقسم إلى فئتين عريضتين: **الاستبدادية والديموقراطية.**

تم الاعتراض على الأول بشدة على أساس أنه لايمكن العثور على سبب وجيه لاستبداد جميع سكان بلد أو بلدان، على الرغم من أن الديموقراطية على عكس الاستبداد، يحظى بدعم شعبي واسع،لم يقدم حلولا مضمونة سواء للمشكلات الفلسفية أو العلمية.

والمعنى الحرفي للديموقراطية هو أنها كلمة من أصل يونانية – هو حكم الشعب بواسطة الشعب – تم الترحيب بهذا المفهوم على نطاق واسع باعتباره الدواء الشافي لجميع العلل،ولكن في الممارسة العملية، ثبت بأنه من المستحيل إقامة حكم من قبل جميع السكان في أي بلد معين، وإذا كان على كل الناس أن يحكموا، فكيف يمكن في نفس الوقت أن يحكموا ؟ إذ إن كل الناس لا يستطيعون الحصول على السلطة في وقت واحد،فكيف يمكن تشكيل حكومة شعبية ؟ لقد تم طرح نظريات مختلفة، وأشهرها نظرية **روسو** أي: أن يترك للإدارة العامة، والتي يمكن تحديدها عن طريق الاستفتاء،ولكن نظرا لكون هذه العملية تستغرق وقتا طويلا ومرهقة(بغض النظر عن النفقات التي ينطوي عليها) فإن الحكومة من قبل الشعب تصبح في الواقع، حكومة من قبل عدد قليل من الأفراد المنتخبين، قد يكون الناس أحرارا في التصويت كما يحلو لهم، ولكن بعد التصويت فهم يُخضعون مرة أخرى للحكم من مجموعة مختارة.

وإذا أمعنا النظر إلى الحكام المنتخبين ديموقراطيا في جميع أنحاء العالم نرى بأنهم يضطلعون بنفس الدور الذي يلعبه ملوك العصور السابقة.

يرتبط مفهوم الحرية تقليديا مع الديموقراطية، ولكن هناك أيضا كنظام سياسي،لا يجعل الناس بالضرورة أكثر تحررا مما كانو عليه في ظل الأنظمة القمعية العلنية.

وعلى الرغم من أنّ الأساس الكامل للديموقراطية هو الإيمان بأن الناس يولدون متساوين،ولهم حقوق متساوية وأنهم كذلك أحرار.

يعبر روسو عن الواقع الأكثر إلحاحا مع الأسطر الأولى لعقده الاجتماعي(لقد ولد الإنسان حرا، وفي كل مكان هو مقيد بالسلاسل) ثم هناك طبيعة الإنسان ذاته التي يجب مراعاتها. إنه حيوان اجتماعي بعيدا عن كونه كيانا مستقلا في هذا العالم مع الحرية في العيش كما يشاء، فهو جزء لايتجزء من منظومة المجتمع.

ويذهب فيلوسوف آخر إلى حد القول (إن الإنسان لايولد حرا،الإنسان يولد في مجتمع يفرض عليه قيودا، من الواضح أن الديموقراطية على الرغم من تحسنها إلى حد كبير على الاستبداد، لاتوفر تلقائيامفتاح حل مشاكل الأفراد المقيدين وعدم المساوات الاجتماعية.

في كثير من الأحيان باسم الديموقراطية، يتم استبدال الملكية الأسرية بأوليغارشية منتخبة،مما يجعل الفرد لايزال يشعر بأنه ليس أكثر من رهين في الصراع على السلطة.

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ثار الناس على الأنظمة الملكية للحكم،ولكن بعد أن تحررو من نير الحكم الملكي،كان عليهم الإستسلام للحكم

من قبل مجموعة النخبة التي تطلق على نفسها اسم (**ممثلي الشعب**) التي تظهر تحسنا كبيرا في الحياة في ظل الملوك القدامى، الذين ادعوا أمهم ممثلون لله على الأرض.

كل الفلاسفة السياسيين وقعوا في فخ تناقضات من هذا النوع، ولا يظهر أن هناك طريقة للخروج من هذا المأزق،حتى ما يسمى "بالتمثيل" هو الآخر مفتوح للسؤال، خذ المثال من المحافظين البريطانيين الذين فازوا في عام واحد فوزا حاسما بأغلبية إجمالية قدرها ٤٤ مقعدا، ومع ذلك من حيث الأصوات ٤٣% منذ ١٩٧٩م أي فيما يتعلق بالمقاعد، فقد فاز المحافظون بأغلبية إجمالية ضخمة،ولكن فيما يتعلق بالأصوات، لم يتمكنو من حشد سوى ٤٣% هل يمكن القول إن هذا يمثل الشعب حقا؟

ومجمل القول عن فشل الإنسان في هذه الكلمات: إن تاريخ الفلسفة السياسية من عهد أفلاطون إلى يومنا يظهر بوضوح أن الفلسفة السياسية الحديثة لاتزال تواجه المشاكل الأساسية.

في الواقع،هناك فلسفة سياسية واحدة لاتتعارض مع نفسه، وهي الفلسفة التي يقدمها القرآن الكريم حيث أن الله وحده من له الحق الأمر على العباد قال تعالى(...هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله ٣:١٥٤

إن إيمان الفرد بأن الله هو صاحب السيادة يؤصل في الإنسان فكرا متماسكا خال من جميع أشكال التناقض.

إذا اعتبر الإنسان صاحب السيادة ،هناك احتمال وارد من أن تكون هناك تناقضات وعدم الاتساق في النظرية السياسية التي تتطور.

كل النظريات السياسية هدفها إزالة الفجوات بين الحاكم والمحكوم، وعلى الرغم من ذلك ليس هناك نظام إنساني أيا كانت طبيعته استطاعت القيام بذلك سواء في النظام الديموقراطي أو الأنظمة الشمولية.

ظلت المساوات بين البشر هدفا صعب المنال،لأن السلطة دوما بأيدي قلة من الأفراد، بينما يصبح الآخرون رعايا لهم،ويمكن أن تختفي هذه الفجوة عندما يظل الله وحده سبحانه هو صاحب السيادة، ليبقى هذا هو الاختلاف الوحيد أي: كونه سبحانه حاكما وهم محكومون متساوون أمامه،لافرق بين إنسان وإنسان آخر.

القرآن: المعجزة الخالدة

تناقض ذو شقين:

إذا تناقضت أجزاء مختلفة لكتاب مع بعضها البعض،الكتاب إذن غير متسق داخل نفسه، إذا تناقضت محتويات كتاب ما، كليا أو جزئيا، مع حقائق معروفة،فإن الكتاب لايتوافق مع الحقائق الخارجية.

القرآن يثبت (- بعدالة – أنه خال من أي منهما) في حين لايوجد عمل بشري يمكن أن يكون أصله خاليا من أي منهما، ويترتب على ذلك أن البشر لايأتون بمثله، ولو أنه كان مكتوبا من قبل البشر، فسيكون معيبا بسبب التناقضات التي لايخلو منها أي عمل بشري.

إن منشأ التناقضات داخل عمل ما، أساسا يكون من أوجه القصور في مؤلفه. إذا أردنا تجنب مثل هذه المساوئ فإن ذلك يستلزم منا القيام بشيئين أساسيين ومطلوبان وهما:

أ- المعرفة المطلقة

ب- الموضوعية الكاملة

لايوجد إنسان لايعاني للأسف من نقص في كلا المجالين،فالله سبحانه هو العليم بكل شيئ ولايعتريه النقص كالكائنات الحية، حيث إن عمل البشر يعتريها النقص حال القيام بها، والقرآن وحده هو الكتاب الوحيد الذي لايناقض نفسه أبدا.

إن القيود المتأصلة في الإنسان تكون عرقلة له لمنعه من فهم العديد من الأشياء فكريا، بحيث لا يستطيع فهمها،لذلك فهو مجبر على التكهن مما يدفعه في كثير الأحيان إلى إصدار أحكام خاطئة، ومزاعم لا أساس لها من الصحة.

إن كل إنسان ينتقل من المرحلة الشبابية إلى مرحلة الشيخوخة، وعندما يكبر الإنسان غالبا ما ينتقض أشياء اعتادها كحقائق عندما كان صغيرا ومع تقدمه في العمر، تزداد معرفته وخبرته، وبالتالي، فإن حكمه النهائي يختلف مع أحكامه الأولية. ولكن حتى عندما يأتي الموت أخيرا، لايزال أمامه الكثير ليتعلمه، وغالبا ما يثبت خطأ ادعاءاته العلمية في سن نضوجه بعد موته، ومن ثمّ يتبين أن الحقيقة لا يتم التوصل إليه من خلال التجربة والاستدلال فحسب.

بالإضافة إلى وسم البشر بالغفلة وارتكاب الأخطاء الغير المتعمدة، فهم جميعا عرضة لارتكاب التحريف المتعمد للحقائق، عندما تكون الدوافع وراءه العواطف الأساسية من الجشع، والحسد، والغيرة، والانتقام والخوف.

غالبا ماتكون الحالة المزاجية والعواطف البشرية مسؤولة عن غض الطرف عن الحقيقة والوقوع فريسة للتفكير الخاطئ.

إذن،الحب، والكراهية، والصداقة،والعداء جميعها لها تأثيرها على التفكير البشري.إن عدم مقدرة الإنسان على أن يكون نزيها، فانتصاره، أو يأسه،ونجاحاته،وإحباطاته كلها لها انعكاسات على جودة فكره.

مثل هذه التقلبات في المزاج والنزوة،والعناد،يمكن أن تصرف أفضل العقول عن الحقيقة.

والشيئ الوحيد الذي تحرر من كل هذه النزوات، وكل هذه القيود، هو الله القدير سبحانه، هذا ما يجعل كلامه بعيدا كل البعد من أن تشوبه شائبة.

تناقض الكتاب المقدس(العهد الجديد) لتوضيح هذه النقطة،دعونا نأخذ الكتاب المقدس الذي سبق نزول القرآن الكريم كمثال.

في الأصل كان الكتاب المقدس كلام الله، لكنه عانى في السنوات اللاحقة إقحامات بشرية مما أدى إلى العديد من التناقضات الداخلية والتي طفقت تلطخ صفحاتها.

ومن الأمثلة على ذلك سلسلة نسب المسيح التي وردت في عدة مواضع في الكتاب المقدس والمعروف باسم الانجيل، أو العهد الجديد.

يبدأ الإنجيل متى بهذه الأنساب مختصرة: كتاب سلسلة نسب يسوع المسيح ابن داوود بن إبراهيم (متى ١ : ١)

ثم يتم تقديم سلسلة نسب المسيح بالتفصيل،بدء من إبراهيم وانتهاء بيوسف والذي وفقا للعهد الجديد هو زوج مريم التي ولد منها يسوع (متى ١٦ : ١) عندما يلتفت القارئ إلى الإنجيل وفقا لما ذكره مرقس، يجد هذه الكلمات " بداية إنجيل يسوع المسيح، ابن الله" (مرقس ١ : ١)

وفقا لأحد فصول العهد الجديد، كان يسوع ابنا لشخص يدعى: يوسف، بينما يقول فصل آخر من هذا العهد الجديد بالذات إنه كان ابن الله.

مما لاشك فيه، أن الإنجيل كان في الأصل كلام الله، وخال من كل التناقضات، إلا أنه في السنوات اللاحقة أضاف فيه البشر إضافات من قبل أنفسهم وأقحموا في نصه المتسق في الأصل تناقضات.

لقد طوّرت الكنيسة المسيحية تناقضا آخر غير معهود وذلك لتعليل التناقض السابق في كتابها المقدس. الوصف الوارد ليوسف في الموسوعة البريطانية (طبعة ١٩٨٩) ونصه كالتالي: (**والد المسيح، زوج مريم العذراء**)

تناقضات علمانية: على سبيل المثال وجود تناقض داخلي خطير في كتابات علمانية، أنتقل إلى كتابات(كارل ماكس) الذي يقود عددا هائلا من المتابعين في العالم الحديث، ولقد كتب عنه الإقتصادي الأمريكي الشهير: جون جالبريث. " إذا اتفقنا على أن الكتاب المقدس هو عمل مؤلف جماعي، فإن محمدا وحده هو من ينافس كارل ماكس في عدد الأتباع المعروفين والمخلصين الذين تم تدريبهم من قبل مؤلف واحد.

والمنافسة ليست قريبة جدا حقا، حيث أن عدد أتباع ماركس لحد الآن يفوق عدد أتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم بكثير، ولكن الشعبية الهائلة لماركس، لاتغير حقيقة أن عمله أفضل بقليل من مجموعة التناقضات الصارخة، ةعلى سبيل المثال: يعتبر ماركس أن وجود الطبقية أصل كل الشرور في العالم، ووفقا لفلسفته، فإن التمييز الطبقي،مستمد من نظام الملكية الخاصة، أو السيطرة التي تمارسها البرجوازية على وسائل الإنتاج مكنتهم من نهب الطبقة العاملة الدنيا.

يشمل الحل الذي الذي وضعه ماركس من مصادرة ممتلكات الطبقة الرأسمالية، ووضعها تحت إدارة الطبقة العاملة، هكذا ادعى، سيظهر مجتمع لاطبقي، وهنا يكمن الحل الأساسي في فلسفة ماركس، فيما يتعلق بما يأتي إلى الوجود نتيجة لهذا النقل، ليس مجتمعا لاطبقيا، بل مجتمعا تتولى فيه إحدى الطبقات زمام الأمور حيث تترك الطبقة الأخرى حيث كانت إحدى الطبقات تسيطر في السابق على الإقتصاد بحكم الملكية، تتحكم فيه طبقة أخرى الآن بحكم حقها في الإدارة.

مايسميه ماركس بالمجتمع غيرالطبقي في الواقع، مجتمع تم فيه استبدال الملكية الرأسمالية بالملكية الشيوعية.

ما أدانه **ماركس** في مكان ما، تغاضى عنه في مكان آخر، ولكن بسبب كراهيته الشديدة للطبقة الرأسمالية وعداوته لها، لم يكن قادرا على رؤية تناقضه في الفكر، كان يؤيد السيطرة على الموارد الاقتصادية بعيدا عن الرأسمالية وأوكلها إلى المسؤولين.

ولكن الذي أعماه هو التحيز، ولذا فشل في رؤية ما كان يقوم به، فقد أعطى أسماء منفصلة لشكلين مختلفين من نفس الظاهرة:

ففي الحالة الأولى:أطلق عليها نهبا للكثيرين من قبل القلة، وفي الحالة الأخرى، أطلق عليها اسم النظام الاجتماعي.

ومن جانب آخر، فإن القرآن خال تماما من تناقض الذات من هذا النوع هناك انسجام مطلق في محتواه، ومع ذلك فقد حاول معارضو القرآن إثبات حدوث تناقضات فيه، ومع ذلك فإن جميع الأمثلة التي يستشهدون بها في هذا الصدد،

لاعلاقة لها على الإطلاق بالقضية التي يحاولون إثباتها، يقولون، على سبيل المثال: في خطبة الوداع، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن الناس جميعا من آدم، وآدم من تراب، ووفقا لهذا المبدأ يجب أن تتمتع المرأة بنفس المكانة التي يتمتع بها الرجل، ولكن الواقع خلاف ذلك، حسب مايقول المعارضون الذين يوجهون أصابع الاتهام إلى أن الإسلام جعل المرأة في رتبة أدنى في المجتمع الإسلامي.

ثم يستشهدون بحقيقة أن شهادة امرأتين تساوي في الشريعة شهادة رجل واحد. صحيح أن الأمر كذلك، ولكن في ظروف خاصة، كما هو موضح في آية من القرآن الكريم والتي منها انطلقت هذه القاعدة، والآية المعنية بخصوص التوثيق الكتابي للديون.

قال تعالى:(**واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ... الآية**)

البقرة أية ٢٨٢ .

والآية المذكورة عالجت بوضوح تام: أن أساس التمييز بين الجنسين، على العكس من ذلك، فإنها بالأحرى تبين قدرة الحفظ المنخفضة لدى النساء، مايلمح إليه هو حقيقة بيولوجية، وهي أن النساء لسن بارعات في تذكر الأشياء مثل الرجال، وإذا كانت ستقبل شهادة النساء في قضايا الفروض، يجب أن تكونا اثنتين بحيث إذا طلب منهم في أي وقت لاحق الإدلاء بشهادتهن، فيجب أن

تكون إحداهن قادرة على تعويض ضعف ذاكرة الأخرى. يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن أي تفسير آخر لهذه القاعدة يظهر سوء فهم كامل للقرآن الكريم.

يجب ألا يغيب عن البال أن الأبحاث الحديثية قد أكدت ما يؤكده القرآن الكريم أن ذاكرة المرأة أضعف من ذاكرة الرجل. لقد دخل علماء الروس في هذه المسألة بتفصيل كبير، وتم نشر استنتاجاتهم في شكل كتاب ملخص عنوانه:

(**قدرة الحفظ**) ظهر في طبعة نيودلهي من صحيفة "تايمز أوف إنديا" في ١٨ يناير ١٩٨٥ (الرجال لديهم قدرة أكبر على الحفظ ومعالجة المعلومات الرياضية أكثر من النساء،ولكنهن أفضل مع الكلمات كما يقول عالم سوفيتي **بتج**

قال الدكتور فلاديمير كونوفالوف لوكالة تاس الإخبارية إن الرجال يهيمنون على الموضوعات الرياضية بسبب خصوصيات ذاكرتهن.

فالحكم القرآني بعيد عن إثبات أي تناقض، يثبت في الواقع أن القرآن جاء مِن مَن له معرفة مطلقة بحقائق الوجود، إنه يرى الأشياء من كل زاوية، ولذلك فهو يسعى لإصدار وصايا تنسجم تماما مع الطبيعة.

التناقض الخارجي: ننتقل الآن إلى التناقض الخارجي، يحدث التناقض الخارجي في العمل الأدبي عندما يتناقض مايؤكده مع واقع ما في العالم الخارجي: بما أن كلام الإنسان وكتابته يحدثان في نطاق معرفته الخاصة والتي تتسم بالقيود والمحدودية، ما يكتبه أو يقوله لايتوافق مع الواقع الخارجي. نطرح هنا بعض الأسئلة للمقارنة لتوضيح هذه النقطة.

في العصور الجاهلية قتلت بعض القبائل أطفالها،تكون الإناث الضحية، وذلك خوفا من عدم القدرة على إطعام عائلة كبيرة.

وفي هذا السياق يقول الله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا) سورة الإسراء ٣١

والمتأصل في النص القرآني وأنه صرح بأن النمو السكاني، مهما كان نطاقه ودرجته لن يخلق أزمة في قوت البشر على كوكب الأرض وأنه سيكون هناك توازن إيجابي دائم بين القوت والسكان، وأنه سيكون هناك توفير كاف من القوت في المستقبل تماما كما هو الحال اليوم، وعلى مر العصور، كان المسلمون يؤمنون بهذا المبدأ القرآني باعتباره مسألة إيمانية، لقد تركوا هذ الأمر بيد الله العلي العظيم.

بعد مرور ألف عام على هذا التصريح القرآني، نشر الإقتصادي البريطاني:

روبرت مالتوس (١٧٦٦- ١٨٣٤) في عام ١٧٩٨ كتابه مقال عن مبدأ السكان كما يؤثر على مستقبل تطور المجتمع، وقد عرض في كتابه نظريته المشهورة عن النمو السكاني، عندما لاتتم مراقبته فإنه يزداد بنسبة هندسية، والقوت هو الآخر يزيد بنسبة حسابية فقط، ببساطة، النمو السكاني والنمو في القوت ليستا متساويان بشكل طبيعي.

يثمو عدد السكان بشكل هندسي أي بنسبة ١ – ٢ – ٤ – ٨ - + - ٦ – ٣٢ بينما يحافظ نمو الإمدادات الغذائية على النسبة الحسابية : ١ – ٢-

٣ – ٤- ٥- ٦- ٧ – ٨ وعليه، فإن القوت لايستطيع مواكبة العدد الهائل للبشر.

الحل الوحيد لهذه المشكلة، وفقا لمالتوس، هو التحكم على معدل المواليد،ولا ينبغي السماح بتجاوز حد معين، وإلا فإن عدد الأشخاص على وجه الأرض سيصبحون غير متناسبين مع كمية القوت المتاحة، ما يؤدي بعصر مجاعة يموت من جرائه عدد لايحصى من البشر جوعا.

ترك كتاب مالتوس انطباعا قويا، وحاز على دعم كبير بين الكتاب والمفكرين، وأدى إلى إطلاق خطط تنظيم النسل والأسرة. وفي الآونة الأخيرة، توصل الباحثون إلى استنتاج مفاده: أن مالتوس كان مخطئا تماما في حساباته.

ولـــخص جودوايــر هذا البحث في مقال بعنوان استفزازي "مالتوس النبي الكذاب الذي ظهر في هندوستان (هندوستان تايمز) (نيودلهي) في ديسمبر ٢٨ ١٩٨٤م

إنها الذكرى الـ ١٥٠ لوفاة مالتوس، ولم تتحق توقعاته القاتمة بعدُ، تضاعف عدد سكان العالم، وتضاعف في تقدم هندسي كما توقعه، تم التحقق منه قليلا فقط، وذلك من خلال الحروب والكوارث الأخرى، ويبلغ عدد سكان العالم الآن حوالي ثمانية أضعاف المجموع عندما كتب ، ولكن إنتاج الغذاء، قد واكب وتيرته، والجيل الحالي من البشرية هو في المتوسط أفضل غذاء في التاريخ .

ولد مالتوس في عصر الزراعة التقليدية، ولك يكن قادرا على تصور نهج عصر الزراعة العلمية الذي سيكون مذهلا بحيث يصبح التقدم في الإنتاج ممكنا. على مدار ١٥٠ عاما منذ وفاة مالتوس تغيرت أساليب الزراعة بشكل جذري يتم اختيار المحاصيل المزروعة بسبب محصولها المرتفع بشكل خاص.

الماشية قادرة على إنتاج كمية أكبر بكثير من منتجات الألبان من ذي قبل.تم إكتشاف طرق جديدة لزيادة خصوبة الأرض.

جلبت الآلات الحديثة مساحات شاسعة جديدة تحت الزراعة.

ففي البلدان المتقدمة تقنيا في العالم كان هناك انخفاض بنسبة ٩٠% في عدد المزارعين: ولكن في الوقت نفسه، حدثت زيادة قدرها عشرة أضعاف في المنتجات الزراعية.

وفيما يتعلق بالعالم الثالث، هناك ثلاثة مليارات من الناس الذين يسكنون في هذا الجزء من العالم، ولكن العالم الثالث، هو الآخر يمتلك القدرة على انتاج الغذاء لـ ٣٣ مليار – عشرة أضعاف السكان الحاليين. وفقا لتقديرات برنامج الغذاء العالمي. إذا كانت الزيادة في عدد السكان من العالم الثالث مستمرة بلا هوادة، حيث وصل إلى أكثر من ٤ مليارات بحلول عام ٢٠٠٠م لن يكون هناك مايدعو للقلق، حيث أن الزيادة ستصاحبها زيادة في الإنتاج: الوسائل ستكون متاحة لتوفير الغذاء بنسبة واحد ونصف مرة أكثر من عدد الأشخاص الذين يجب إطعامهم. وستكون هذه الزيادة في إنتاج الغذاء ممكنة بدون إزالة الغابات،

لذلك لايوجد خطر حقيقي من حدوث أزمة غذاء سواء على المستوى الإقليمي أو العالمي.

ويختتم جوين دواير تقريره بالكلمات التالية: "مالتوس كان مخطئا، نحن لسنا معنيين بتكاثر أنفسنا في المجاعة. حيث أن عمل كتاب مالتوس كان حول السكان والقوت – عمل العقل البشري يكون فعّالا ضمن حدود الزمان والمكان بعيدا جدا في تنبؤاته للجنس البشري.

وقد ثبت ذلك للعالم بعد ١٥٠ عاما فقط من وفاة المؤلف"

ومن ناحية أخرى، فإن القرآن وحيّ إلهي خارق للعادة – لايزال يحمل الحقائق الخارجية حتى يومنا هذا.

القرآن كتاب الله

فقدان الدقة التاريخية

في القرن العشرين قبل الميلاد، في زمن النبي يوسف عليه السلام، دخل بنو إسرائيل مصر، وبعد سبعة قرون غادرو مصر مع موسى، وعبروا إلى شبه جزيزة سيناء. هذه الأحداث مذكورة في كل من الكتاب المقدس والقرآن الكريم، لكن بينما الرواية في القرآ، متسقة تماما مع التاريخ الخارجي، يتحدث الكتاب المقدس عن عدة حوادث التي لاتتوافق مع السجلات التاريخية، وقد أنشأ هذا مشاكل للمؤمنين بالكتاب المقدس هل يجب أن يقبلوا ماهو مكتوب في الكتاب المقدس أم يجب أن يذهبوا مع ماذكره التاريخ؟ وبما أن الاثنين يتعارضان مع بعضهما البعض، فلا يمكننا قبول كليهما في نفس الوقت.

في ١٢ يناير ١٩٨٥م تم عقد اجتماع في المعهد الهندي للدراسات الإسلامية في تغلق آباد في نيودلهي، وتم إلقاء الخطاب من طرف عزرا كوليت، رئيس مجلس يهود الهند، وكان موضوعه: ماهي اليهودية؟ بطبيعة الحال، عالج تاريخ اليهودية، وذكر من بين أمور أخرى دخول اليهود إلى مصر وخروجهم منها. ورد ذكر اسم كل من يوسف وموسى عليهما السلام في حديثه، وكذلك أسماء الملوك الذين حكموا مصر في زمن كلا منهما.

لكلا الملكين اللذين عاصرا كل من يوسف وموسى، استخدم مصطلح ((فرعون)) كما يعرف كل شخص ملم بالفترة المذكورة أن هذه التسمية غير

صحيحة تاريخيا، لم يبدأ عهد الملوك المعروفين بالفراعنة حتى عهد موسى: ففي أيام يوسف حكمت مصر سلالة مختلفة من الملوك.

عندما دخل يوسف مصر، وكان يحكمها ملوك من سلالة معروفة باسم الهكسوس، وكانوا من عرق العرب الذين اغتصبوا العرش المصري واستولوا عليها من ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

وبتمرد السكان الأصليون الحكم الأجنبي، تمخض عن ذلك إنهاء سلالة الهيكسوس، ومن ثمّ تم تأسيس الحكم الذاتي في مصر، والعشيرة التي تولت السيادة، اختارت لنفسها اسم فرعو، الذي يعن: حرفيا ابن إله الشمس، في تلك الحقبة كان المصريون يعبدون الشمس، ومن أجل الدفاع عن حقهم في السيطرة على المصرين، فإنهم جعلوا أنفسهم تجسيدا لإله الشمس.

في الواقع كان السيد كولت ينادي ملوك الهيكسوس، بالفراعنة لم يكن لديه خيار في هذا، لأن هذا ما يسمى في الكتاب المقدس، بالإشارة إلى فترات كل من يوسف وموسى.

المتحدث اليهودي يمكن أن يقبل إما الكتاب المقدس أو التاريخ، ولكن ليس كلاهما معا، لأنه لما كان يتحدث بصفته رئيس المجلس اليهودي، وضع التاريخ جانبا وأقام حديثه على حسابات الكتاب المقدس، ولكن في القرآن لانجد روايات تتعارض مع التاريخ بهذه الطريقة، أولئك الذين يتبعون القرآن الكريم ليسوا مجبرين على ترك التاريخ من أجل دعم كتابهم المقدس، أولئك الذين يتبعون القرآ، لم يكونوا مضطرين للتخلي عن التاريخ من أجل التمسك بكتابهم. عندما نزل

القرآن لم يكن لدى الناس أي معرفة بالتاريخ المصري القديم، ففي السنوات اللاحقة، أجريت الحفريات الأثرية، فمن هناك تمكن علماء الأثر المصرية من تجميع سجل لتاريخ ملوك ذلك البلد القدامى

ومع ذلك يذكر القرآن الملك المصري بلقب ((ملك مصر)) أما الملك الذي حكم في أيام موسى عليه السلام سماه القرآن مرارا بـ: بفرعون، لذلك لدينا حساب قرآني يتوافق تماما مع الحقائق التاريخية على عكس حساب كتاب غير دقيق تاريخيا، مما يدل على أن القرآن من غير الرجوع إلى مصادر المعرفة البشرية من خلال شخص لديه وصول مباشر إلى الحقيقة.

مثال من التاريخ: وفقا لنظرية التطور، ينحدر كل من الإنسان والحيوان من سلف مشترك، وهذا يعني أن نوعا حيوانيا واحدا قد مر بالعديد من مراحل التطور التدريجية،وتطورفي النهاية إلى الشمبانزي، وأخيرا الإنسان العاقل.حتى لو أخذنا نظرية التطور كأمر مسلم به، فهناك روابط مفقودة بين هذه المراحل التطورية بين الحيوان والإنسان التي لاتزال يتعين أن تحسب.

أين لاتزال الأنواع في طور التطور،تمتلك سمات حيوانية وإنسانية ؟ وعلى الرغم من عدم اكتشاف مثل هذه الروابط الأوسط الحقيقي حتى الآن، يعتقد أنصار التطور أن مثل هذه الأنواع موجودة بالفعل، وسيتم اكتشافها يوما ما، في عام **١٩١٢** أطلقت الصحف الانجليزية خبرا مفاده:أن جزء من جمجمة قديمة نصفه قرد،ونصفه رجل، يعود إلى فترة ضبابية ماقبل التاريخ، تم العثور عليها في بلتدوان، مما يوفر أدلة مادية أكدت نظرية التطور لداروين.

حقق رجل بلتداون هذا، شعبية فورية، ظهر الاسم في نص قياسي، كتب مثل: **آز أش لول: التطور العضوي**. اعتبر كبار المفكرين هذا الاكتشاف من بين الانتصارات العظيمة للإنسان الحديث، ففي الأعمال الموثوقة مثل ملخص السيرة لـ: **ج.إ.** أولس، وتاريخ السيرة الغربية **باترند وروسلس** تم ذكره كما لو أنه لم يكن هناك شك في وجود رجل بلتداون.

لما يقرب من نصف قرن، بقي العلماء مفتونين بهذا **"الإكتشاف العظيم"** وفي عام **١٩٥٣**م أصبح بعض العلماء متشككين، استخرجو رجل بلتداون من صندوقه الحديدي المقاوم الحريق في المتحف البريطاني، وأخضعوه لتحليل علمي مفصل وحديث، ودراسته من كل زاوية ذات صلة، كان استنتاجهم النهائي أن رجل بلتداون كان مزورا، فالإستحسان الكبير الذي لاقاه كان لااساس له على الإطلاق.

ماحدث بالفعل هو أن شخصا ما أراد تشويه سمعة أحد المنافسين من خلال لعب خدعة عليه، قد أخذ فك شمبانزي ووضعه لجعله يبدو قديما ثم قام برفع أسنانه لحعلها تبدوا بشرية، ثم قام بصقله بالمبرد لجعلها تبدوا بشرية. قدم إكتشافه إلى المتحف البريطاني إنجلترا، كان ينوي في مرحلة لاحقة الكشف عن القضية برمتها كخدعة، من أجل جعل خصمه يبدوا أحمق، لكن عندما رأى الجدية التي تم بها خدعته من قبل جميع العلماء الغربيين، كان يخشى التملك، ثم منع صمته التفكير الإيجابي في التطور لعدة عقود(**موسوعة بريتانيك، ١٩٨٤م رجل بلتداون**)

مومياء مرنبتاح: واحدة من أكثر التنبؤات إثارة للإهتمام التي قدمها القرآن، يخص فرعون مصر المسمى:"**مرنبتاح**" الذي كان ابن رمسيس الثاني، وبحسب السجلات التاريخية، فقد غرق هذا الملك في مطاردة موسى في البحر الأحمر. عندما نزل القرآن كانت الإشارة الأخرى الوحيدة لفرعون موجودة في الكتاب المقدس، وكانت الإشارة الوحيدة إلى غرقه في سفر الخروج،(**فرجع الماء وغطّى العربات والفرسان، وكل جيش فرعون الذين جاءو لمطاردة موسى في البحر، لم يبق منهم أحدُ**)

والمثير للدهشة أنه عندما كان هذا هو كل مايعرفه العالم عن غرق فرعون،أورد القرآن الكريم قائلا(فاليوم ننجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك ءاية) كم هو غير عادي ما يمكن أن تبدوا عليه هذه الآية عند نزولها، لم يكن أحد يعلم أن جسد فرعون كان سليما بالفعل ما يقرب ١٤٠٠ عاما قبل ظهور هذه الحقيقة.

كان البروفسور لوريت أول من وجد في عام ١٨٩٨م بقايا مُحنّطة لفرعون الذي عاش في زمن موسى عليه السلام، لمدة ٣٠٠عام ظلت الجثة ملفوفة في ملاءة في مقبرة نيقروبلست في تبيت، حيث عثر عليها لوريت، حتى أول يوليو ١٩٠٧م عندما كشفها إليوت سميث وأخضعها للفحص العلمي المناسب،وفي عام ١٩١٢م نشر متابا بعنوان:(مومياء ملكية) أثبت بحثه أنّ المومياء التي اكتشفها لوريت كانت بالفعل لمومياء الفرعون الذي عاصر موسى

وقاومه وطارده أثناء رحلته،وأخيرا فقد حياته في هذه العملية، تم حفظ بقاياه الأرضية بمشيئة الله من الدمار لتصبح عبرة لبني البشر كما ذكره القرآن الكريم.

وفي عام ١٩٧٥م قام الدكتور بُوكاي بفحص مفصل لمومياء فرعون التي تم نقلها في ذلك الوقت إلى القاهرة، قادته النتائج التي توصل إليها إلى الكتابة في دهشة واستحسان: أولئك الذين يسعون بحثا من بين البيانات الحديثة لإثبات الكتاب المقدس، سيجدون توضيحا رائعا في آيات من القرآن الكريم تتعامل مع جسد الفرعون بزيارة غرفة المومياوات الملكية بالمتحف المصري بالقاهرة.

في وقت مبكر من القرن السابع الميلادي أكّد القرآن الكريم أن جثة فرعون قد حفظت كعبة لبني البشر، ولكن في القرن التاسع عشر فقط، قدم اكتشاف الجسد دليلا ملموسا على هذا التنبؤ.

ماهو الدليل الإضافي المطلوب في كون القرآن كتاب الله؟ بالتأكيد، لايوجد كتاب مثله من بين أعمال الرجال.

ظاهرة طبيعية

نزل القرآن الكريم في وقت لم يكن يعرف فيه الكثير عن الطبيعة، على سبيل المثال: كان يُعتقد أن هطول الأمطار يأتي من نهر في السماء يتدفق على الأرض مسطحة، وأن قمم التلال التي توفر سقفا فوق الأرض. وكما يُعتقد أن النجوم أظافر فضية لامعة مثبتة في قبو السماء، أو يعتقد أنها مصابيح صغيرة تتأرجح ذهابا وإيابا في الليل بواسطة حبل.

فقد اعتقد الهنود القدماء أن الأرض استقرت على قرن بقرة، ومتى نقلت البقرة من قرن إلى آخر، سبّب في حدوث زلازل.

حتى زمن كوبرنيكوس (١٤٧٣ – ١٥٤٣)كان يُعتقد عموما أن الأرض ثابتة، وأن الشمس تدور حوله.

وقبل ألفي عام، أريستارحوس ساموس، قد توقع هذه النظرية، لكن أفكاره لم تستند إلى أي أساس مع التقدم المحرز في مجال العلوم والتكنولوجيا، ثم زيادة نطاق المراقبة والتجربة البشرية بشكل كبير، وفتحت آفاقا كبيرة من المعرفة حول الكون.

في جميع مجالات الوجود، وفي جميع مجالات العلوم، أثبتت الأبحاث اللاحقة أن المفاهيم الموضوعة مسبقا خاطئة وتم تجاهلها، وهذا يعني أنه لايمكن لأي عمل بشري يعود إلى ١٥٠٠ عام، التباهي بالدقة التامة لأنه يجب الآن إعادة تقييم جميع الحقائق في ضوء المعلومات الحديثة.

في الواقع، لم يتم العثور على مثل هذا الكتاب ليكون خاليا تماما من الأخطاء، مع استثناء ملحوظ للقرآن الذي صمدت اصالته أمام كل التحديات على مرّ القرون. وهذا دليل قاطع على أن القرآن جاء من عند الذي أحاط علمه بكل شيء معرفة أبدية، الذي يعرف الأمور بحقائقها التفصيلية، ولم يتأثر علمه بالزمن والظروف.

لو كان من صنع البشر، لما كان ليصمد أمام اختبار الزمن ، الرؤية البشرية بالمقابل ضيقة ومحدودة.

إنّ الموضوع الأساسي للقرآن يدور حول النجاة في الدار الآخرة، وهذا هو السبب في أنها لاتندرج في فئة أي من الفنون والعلوم المعروفة في العالم.ولكن بما أنه يخاطب عن نفسه للإنسان، فإن القرآن يمس تقريبا جميع التخصصات التي تعينه، وعلى الرغم من اتساع نطاقها، لم يظهر أي من بياناتها على الإطلاق أنها تنبع من معرفة غير كافية.

(**برتراندراسل**) في كتابه (تأثير العلم على المجتمع) يشير إلى أن الفيلسوف الشهير:أرسطو، بينما يثبت دونية المرأة للرج، ذكر أن النساء لديهن أسنان أقل من الرجا، مما يكشف عم جمله بالحقيقة أن الرجال والنساء لديهن عدد متساو من الأسنان.

لم يتم اكتشاف مثل هذا الجهل أو سوء الفهم في القرآن.

هذا يدل بوضوح على أن أصل هذا العمل من الذات العليا الذي معرفته الزمن نفسه، ويذهب أبعد بكثير من المعرفة الآنية، بغض النظر عن مدى مايبدوعليه تقدم هذا الأخير.

أمثلة من علم الفلك: بالإشارة إلى الشمس والقمر، يخبرنا القرآن أن كلا الجسمين السماويين يتحركان في مسارات دائرية خاصة بهما(فلك) (**٣٦-٤٠**)

يقول الدكتور موريس بوكايل: وهو يناقش هذه الآيات بالتفصيل،ذلك أن كلمة "**الفلك**" هنا، له المعنى العلمي وهو (**المدار**) في حين أن مصطلح (العوم) هو أنسب مصطلح لوصف حركة الأجرام السماوية في فضاء شاسع دقيق. كتب الدكتور بوكايل كذلك: اتّضح أن الشمس يترك في مدار، ولكن لم يتم إعطاء أي مؤشر على ما يمكن أن يكون عليه هذا المدار بالنسبة للأرض. ففي فترة نزول الوحي القرآني، كان يُعتقد أن الشمس يتحرك بينما الأرض ثابتة،كان هذا هو نظام مركزية الأرض التي كانت سائدة منذ زمن **بطليموس**، في القرن الثاني قبل الميلاد، واستمرت في ذلك إلى عهد: كوبرنيكوس في القرن السادس عشر بعد الميلاد.

على الرغم من أنّ الناس أيّدوا هذا المفهوم في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أنه لايوجد في أي مكان في القرآن، هنا أو في أي مكان آخر(صـ١٥٩)

تطور علم الأحياء:تم تسليط الضوء على مثال مثير للاهتمام لمعرفة القرآن عن علم الأحياء، في وقت مبكر في الصحافة في نهاية عام ١٩٨٤م الصحيفة الكندية ((**دي ستزن**)) (٢٢ نوفمبر ١٩٨٤) نشرت تحت عنوان: الكتاب المقدس القديم قبل ١٣٠٠سنة من وقته.

صحيفة دي تايمز الهندية، نيودلهي (١٥ديسمبر ١٩٨٤) ذكرت نفس القدر من الدراما. "**القرآن يتفوق على العلوم الحديثة**" تم إلقاء هذا الضوء الجديد على

الآيات القرآنية بقلم الدكتور "كيث مور" عالم الأجنة، والأستاذ الشهير في جامعة تورنتو، كندا، من أجل إجراء تحليل مقارن لما أكّده القرآن، ونتائج البحث الحديث في علم الأجنة.

قام بدراسة معمقة لأوصاف نمو الجنين كما ورد في آيات معينة مثل (١٤-٢٣) و (٣٩-٦) في هذا الصدد، قام أيضا بزيارة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة بالمملكة العربية السعودية في عدة مناسبات مع زملائه. ووجد بشكل مدهش أن آيات القرآن يقابل في كل التفاصيل الاكتشافات الحديثة. وكان مندهشا جدا من الحقائق الواردة في القرآن تم الكشف عنها من قبل العالم الغربي في وقت متأخر في ١٩٤٠م في ورقة مكتوبة حول هذا الموضوع، يقول (القرآن الذي يبلغ من العمر ١٣٠٠ عاما، يحتوي على مقاطع دقيقة للغاية للتطور الجنيني الذي يمكن أن يعتقد المسلمون بشكل معقول أنها وحي من الله. يمكن الحصول على تفاصيل داعمة مقنعة من التحليل الذي قدمه موريس بوكايل في كتابه (الكتاب المقدس، القرآن والعلم) الذي تم نشره عام ١٩٧٠م

نحن نستنسخ هنا بعض المقتطفات من الفصل المعنون: (التكاثر البشري)

تطور الجنين داخل الرحم: الوصف القرآني لمراحل معينة في تطور الجنين، يتوافق بالضبط مع مانعرفه عنها اليوم، والقرآن لايحتوي حتى عبارة واحدة مفتوحة لنقد من العلم الحديث. بعد كلمة "العلقة" الشيء الذي يعلق(التعبير له أسس سليمة كما رأينا)

يخبرنا القرآن أن الجنين يمر بمرحلة مضغة لحمية، ثم يظهر النسيج العظمي وهو مكسو باللحم.(يُعرّف بكلمة مختلفة عن السابقة التي تشير إلى " لحم سليم" ورد في سورة المؤمنو الآية ١٤ (ثم خلقنا النطفة علقة،فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاما، فكسونا العظام لحما ... الآية اللحم الممضوغ ترجمة لكلمة "المضغة" واللحم السليم هو اللحم. هذا التعريف يحتاج إلى مزيد تأكيد.

يكون الجنين في البداية كتلة صغيرة في مرحلة معينة من تطوره، يبدوا للعين المجردة، مثل اللحم الممضوغ، يتطور الهيكل العظمي داخل هذه الكتلة فيما يسمى:اللحمة المتوسطة العظام التي تكونت مغطاة بالعضلات والتي تنطبق عليها كلمة "لحم" من المعروف كيف تبدوا أجزاء معينة تماما غير متناسبة أثناء التطور الجنيني مع ما سيصبح لاحقا الفرد، بينما الأجزاء تبقى متناسبة. وهذا بالتأكيد معنى كلمة "مخلقة" التي تدل على الشكل المتناسب كما هو مستخدم في الآية الخامسة من سورة الحج تصف هذه الظاهرة إذ يقول(ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلّقة وغير مخلقة ...الآية)

قبل أكثر من ألف عام من عصرنا، في فترة لاتزال تسود فيها المذاهب الغربية، كانو محظوظين أولئك الذين حظوا بمعرفة القرآن، لأن العبارات التي يحتوي عليها، تعبر عن حقائق ذات أهمية اساسية لقد استغرق الإنسان قرونا ليكشفها.

أصل الكون

يقول الله جلا وعلا في سورة الأنبياء(أولم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ...) ٢١- ٣٠ ويعني: "الرتق" الكمال، والاكتناز: بينما يعني: "الفتق" عكس ذلك اي التفكك، أكّدت الدراسات الحديثة في علم الفلك حقيقة هذا المفهوم، حيث دفعت الملاحظات المختلفة العلماء إلى افتراض أن الكون قد تشكل من انفجار من حالة الكثافة ودرجة الحرارة العالية (الانفجار العظيم)

وأن الكون قد تطور من الأصل من غاز مضغوطة للغاية شديدة الحرارة، يتخذ شكل مجرات من النجوم، والغبار الكوني، والنيازك والكويكبات.

الحركة الخارجية الآتية من المجرات هي نتيجة هذا الانفجار.

وفقا لموسوعة بريتانيك (١٩٨٤م) هذه هي النظرية التي اعتمدها معظم علماء الكونيات. بمجرد أن بدأت علمية التوسع منذ حوالي ستة مليارات سنة، كان لابد من استمرارها، وكلما ابتعدت الأجرام السماوية عن المركز، قل جاذبية بعضها البعض.

تقديرات محيط المادة الأصلية تضعها في حوالي ألف مليون سنة ضوئية، الآن، وفقا لحسابات البروفيسور إدينجتون: فإن المحيط الحالي، يبلغ عشرة أضعاف ماكان عليه في الأصل.

عملية التوسع هذه لاتزال مستمرة، يوضح **أستاذ إدينجتون** أن النجوم والمجرات هي كعلامات على سطح البالون تتوسع بشكل مستمر، وأن جميع الكرات

السماوية تتباعد أكثر فأكثر، افترض الإنسان القديم خطأ أن النجوم كانت قريبة من بعضها البعض كما يبدوا.

كما هو مهم ليذكر القرآن الكريم في سورة الذاريات في الآية ٤٧ قائلا(**والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون**) كشف العلم الآن أنه منذ نشأة الكون، خمسة وتسعون ألف مليون سنة قبل الميلاد امتد محيطه من ستة مليون إلى ستين ألف مليون سنة ضوئية – هذا يعني أن هناك مسافات شاسعة بشكل لايمكن تصوره بين الأجرام السماوية، وقد تم اكتشاف أنها تدور كجزء من أنظمة المجرات، تماما كما تدور أرضنا والكواكب حول الشمس، تقع العديد من الكواكب والكويكبات على مسافات كبيرة من بعضها، وكما يدور وفقا لنظام موحد.

وكذلك كل جسم مادي يتكون من عدد لايحصى من"أنظمة الطاقة الشمسية" على نطاق صغير جدا للغاية. هذه الأنظمة تسمى الذرات. في حين أن فراغ النظام الذري صغير جدا بحيث لا يمكن رؤيته.

كل الأشياء مهما كانت صلبة تبدوا مجوفة من الداخل، على سبيل المثال: إذا كان كل شيئ: الالكترونات والبروتونات الموجودة ضمن ذرات رجل طويل قامته من ستة أقدام، إذا كان من المقرر أن يتم ضغطه بطريقة لم يتبق أي مساحة، وسيتم تقليل جسده إلى بقعة صغيرة، كما سيكون مرئية فقط من خلال المجهر.

تقع المجرة الأبعد التي تم رصدها على بعد عدة ملايين من السنين الضوئية من الشمس ومع ذلك، يعتقد أنه إذا كان الكم الكلي للمادة الكونية كما حدده علماء الفيزياء الفلكية التي هي ضخمة – يجب ضغطها يتم القضاء على كل الفضاء،

سيكون حجم الكون ثلاثين أضعاف فقط حجم الشمس. وفي مدى الآونة الأخيرة هذه، تم إجراء الحسابات، ومن غير العادي أن يؤكد القرآن قبل ١٥٠٠ عام أكّد القرآن أن الكون لم يتمدد من شكل مكثف فحسب، بل إن الكم الأصلي للمادة بقي ثابتا،بحيث يمكن تصور إعادة تكثيفه، في مساحة صغيرة بسبيا وذلك حال وصفه لنهاية الكون قال تعالى(**يوم نطوي السماء كطي السجل الكتب**)(١٠٤ – ٢١)

القمر هو أقرب جيراننا، حيث تبلغ المسافة بينه وبين اثنين وأربعون ألف ميل. بسبب هذا القرب، تؤثر قوة الجاذبية على أمواج البحر، مما يتسبب في ارتفاع غير عادي في منسوب المياه مرتين في اليوم في نقاط معينة ترتفع هذه الموجات إلى ارتفاع ستين قدما، يتأثر سطح الأرض أيضا بهذا السجب القمري،ولكن من حيث بضع بوصات. المسافة الحالية بين الأرض والقمر هي الأمثل من وجهة نظر الإنسان، وهناك العديد من المزايا إذا تم تقليل هذه المسافة على سبيل المثال إلى مسافة خمسين ألف ميل فقط، ستكون البحار شديدة العاصفة بحيث يغمر جزء جزء كبيرا من الأرض فيها، وعلاوة على ذلك،فإن التأثير المستمر للعاصفة الموجية من شأنها أن يقطع الجبال إلى قطع صغيرة، وسطح الأرض أكثر تعرضا بالكامل إلى جاذبية القمر، سيبدأ في الانهيار، يقدر العلماء أنه في الوقت الذي ظهرت فيه الأرض،كان القمر قريبا منها، وبالتالي تعرض سطح الأرض لجميع أنواع الاضطرابات، وبمرور الوقتن تباعدت الأرض والقمر إلى المسافة الحالية بينهما وفقا للقوانين الفلكية.

يعتقد علماء الفلك أنّ هذه المسافة سيتم الحفاظ عليها لمليار سنة، ثم نفس القوانين الفلكية ستجلب عودة القمر أقرب إلى الأرض، نتيجة لتضارب قوى الجذب، سوف ينفجر القمر عندما يكون قريبا بدرجة كافية، ويمجد عالمنا الميّت بحلقات مثل حلقات زحل.

هذا المفهوم يثبت التنبؤ القرآني بدرجة ملحوظة، بالإضافة إلى الأسطر التالية:

ستوضح السطور التالية بالإضافة إلى تقديم هذه الظاهرة كحقيقة مادية يشرح أهميتها الدينية...ألخ

قال تعالى(اقتربت الساعة، واشقّ القمر، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)

خاصية الشفاء من العسل

يخبرنا القرآن عن خواص العسل العلاجية (٦٩ - ١٦) في ضوء هذه الآية، أولى المسلمون أهمية كبيرة للجانب الطبي للعسل، وأصبح مكونا مهما في علم الأدوية لديهم،ولكن العالم الغربي، ظل غير مدرك لقيمته الطبية لقرون، لقد عاملوه على أنه مجرد غذاء سائل لم يكن قبل القرن العشرين، حيث اكتشف فيه الأطباء الأوروبيون خصائص العسل المطهرة.

وفيما يلي ملخص لأبحاث حديثة عن العسل.

نشرت في مجلة أمريكية:"العسل مدمر قوي للجراثيم التي تنتج الأمراض البشرية،لم يكن حتى العشرين من هذا القرن ومع ذلك، علميا حاول الدكتور

ديليوجي ساكيت، الذي كان يعمل سابقا في كلية **كولورادو الزراعية في فورت كولينز**: إثبات أن العسل كان ناقلا للأمراض مثل الحليب، ولدهشته تم القضاء بسرعة على جميع الجراثيم المرضية التي أدخلها إلى العسل النقي، ماتت الجرثومة التي تسبب حمى التيفود في العسل النقي بعد ٤٨ ساعة من التعرض. جرثومة "السلمونيلة" الملهبة للأمعاء، عاشت بعد ٤٨ ساعة. جرثومة قاسية تسبب الالتهاب الرئوي القصبي، وتسمم الدم لمدة أربعة أيام. بكتيريا بسلوس كولي كومونيس التي تسبب التهاب الصفاق في ظروف معينة، ماتت في اليوم الخامس من التجربة.

وفقا للدكتور: بودوج بيك: هناك العديد من الجراثيم الأخرى التي يمكن تدميرها بشكل متساو في العسل.

وقال إن سبب هذه الجودة المبيدة للجراثيم في العسل هو قدرته على استرطاب السوائل،يسحب حرفيا كل جزيء من الرطوبة، مثل أي كائن حي آخر بدون ماء.هذه القدرة على امتصاص الرطوبة تكاد تكون لامتناهية،حيث أنه يجتذب العسل الرطوبة من المعادن، والزجاج وحتى الصخور الحجرية.

انظر(روسكروستيان دايجست) ديسمبر ١٩٧٥م صـ: ١١

تفوق القرآن الكريم

إن اللغة نفسها التي نزل بها القرآن الكريم – اللغة العربية – هي نوع من المعجزة،كونها استثناء مذهل للقاعدة التاريخية القائلة بأن اللغة لايمكن أن

تحيا بنفس الشكل لأكثر من ٥٠٠ عام. على مدار خمسة قرون، تتغير اللغة بشكل جذري لدرجة أن الأجيال القادمة تجد صعوبة متزايدة في فهم أعمال أسلافهم البعيدين على سبيل المثال: أعمال جيفري تشوسر(١٣٤٢-١٤٠٠) لويليام سكسبير(١٥٦٤- ١٦١٦) أحد أعظم كتّاب اللغة الانجليزية،أصبح غير مفهوم تقريبا لقراء القرن العشرين، ويتم قراءته الآن بشكل حصري تقريبا كجزء من مناهج الكلية بمساعدة المعاجم والقواميس والترجمات.

ولكن تاريخ اللغة العربية مختلف بشكل لافت للنظر،حيث صمدت أمام اختيار الزمن لما لايقل عن ١٥٠٠ عام لقد مرت الصياغة والأسلوب بالطبع ببعض التطوير، ولكن ليس لحد الذي يجب أن تفقد فيه الكلمات معانيها الاصلية. لنفترض أن شخصا ما ينتمي إلى العصور القرآنية للجزيزة العربية القديمة يمكن أن يولد من جديد اليوم، فإن شكل اللغة التي يعبر فيها سيكون مفهوما للعرب المعاصرين، كما كان لدى معاصريه.

يبدوا الأمر كما لو أن القرآن قد وضع بصمة إلهية على اللغة العربية وأوقفها في مسارها حتى تظل مفهومة حتى اليوم الأخير. وإذا كان الأمر كذلك، فإن القرآن لن بفض الغبار فقط على رف الأدب الكلاسيكي المستغلق فهمه، بل سيتم قراءته، وسيلهم الناس في كل الأوقات في مجال العلم،وعلى الرغم من التقدم الكبير والسريع في المعرفة في السنوات الأخيرة،نعود إلى ماأكّده القرآن منذ قرون عديدة، حيث وصل الأمر إلى جوهره تماما كما يبدو، فإن اللغة العربية قد

تبلورت في وقت معين- في الواقع في فترة نزول القرآن الوحي الإلهي،يبدوا أن العلم قد تم إيقافه في مساره وأصبح القول الفصل للقرآن في الأمور التي ظلت لقرون خارج نطاق معرفة الإنسان،والتي لاتزال في العديد من الحالات المهمة بعيدة عن متناول الفكر البشري، والأهم من ذلك هو أصل الكون.

نظرية نيوتن للضوء

والنقطة الأخرى التي يبدوا أن الذكاء البشري قد توصل إلى حقيقة علمية حوله، هي الطبيعة الحقيقية للضوء.

كان السيد إسحاق نيوتن(١٦٤٢- ١٧٢٧) هو الذي طرح النظرية القائلة بأن الضوء يتكون من جزيئات سريعة الحركة، تنبثق من مصدرها، وتنتشر في الغلاف الجوي. نظرا للتأثير الجديد الذي أحدثه نظرية نيوتن.

فإن هذه النظرية الهامة سادت في العالم العلمي لفترة طويلة جدا،فقط ليتم التخلي عنها في منتصف القرن التاسع عشر لصالح نظرية موجات الضوء.

كان اكتشاف عمل الفوتون هو الذي وجّه الضربة النهائية لنظرية نيوتن (أقنع عمل يونغ العلماء أن لضوء خصائص موجية أساسية في تناقض واضح مع نظرية نيوتن في الجسيمات العضلية)

لقد استغرق إثبات خطأ نيوتن ٢٠٠عام فقط.

والقرآن على العكس من ذلك، أعطى رسالته إلى العالم في القرن السابع وحتى بعد مرور **١٤٠٠ عاما**. والسبب في ذلك هو أنّ مصدره إلهيّ وليس بشري: يمكن الاعتماد المطلق على الحقيقة المطلقة لأقواله في جميع الأوقات – فتلك سمة استثنائية لايمكن لاي عمل آخر الادعاء بها.

تعلن نظرية **النسبية لأينشتاين**: أن الجاذبية تتحكم في سلوك الكواكب والنجوم والمجرات، والكون كذلك،وهي تفعل ذلك بطريقة يمكن التنبؤ بها. هذا الاكتشاف العلمي من قبل هيوم(**١٧١١ – ١٧٧٦**) ومفكرين آخرين الذين أعلنوا أن نظام الكون بأكمله محكوم بمبدأ السببية، وأنه لم يكن الإنسان على علم بذلك، فقد كان من المفترض أن يكون هو من يسيطر على الكون.

ثم تم التفكير في مبدأ السبب والنتيجة منطقيا للاستغناء عن فكرة "الله"

لكن الأبحاث اللاحقة تعارضت هذا الافتراض المادي البحت.

عندما عمد بولديراك وهايزنبزغ وغيرهما من العلماء البارزين إلى تعليل بنية الذرة،اكتشفوا أنّ نظامها يتعارض مع مبدأ السببية الذي تم اعتماده على أساس الدراسات التي أجريت على النظام الشمسي.وتسمى هذه النظرية ميكانيكا الكم، وهي نظرية تؤكد أن المادة على المستوى دون الذري، يتصرف بشكل عشوائي. إن كلمة "مبدأ" يعني: شيئا ما ينطبق بنفس القدر في جميع أنحاء الكون،وإذا وجد هناك مثال واحد لمبدأ لاينطبق على شيئ ما،فيجب أن يتم التشكيك في حسن نيته الأكاديمية. ويتبع ذلك أنه إذا لم تعمل المادة وفقا لمبدأ السببية بطريقة

مماثلة تماما على المستوى دون الذري، كما هو الحال في النظام الشمسي، يجب أن يتم رفضه.

وجد **أينشتاين** هذه الفكرة غير واردة وقضى ثلاثين سنة الأخيرة من حياته يحاول التوفيق بين هذه الظواهر المتناقضة للطبيعة، رفض العشوائية لميكانيك الكم، قائلا "لاأستطيع أن أصدّق أن الله يلعب النرد مع الكون"

وعلى الرغم من بذل قصارى جهده، إلا أنه لم يتمكن من حل هذه المشكلة.

ونجد أن القرآن قدم القول الفصل عن حقيقة الكون، ففي واقع الأمر، أن الكون لايمكن تفسيره من حيث المعرفة البشرية، ويتضح ذلك بجدارة من قبل **لان روكسبيرج** عندما كتب: تحتوي قوانين الفيزياء المكتشفة على الأرض على أرقام عشوائية، مثل نسبة كتلة الالكترون إلى كتلة البروتون، وهي تقريبا **١٨٤٠** إلى واحد لماذا؟ هل اختار الخالق هذه الأرقام بشكل تعسفي؟

يبدوا أنّ العلم يدرك حقيقة أن الكون لايمكن أبدا أن تحيطها المعرفة البشرية، ومن هنا، يجب الإذعان بأن الكون مظهر عجيب من مظاهر قدرة الإله الخالق.

الفصل الثاني

القرآن : معجزة النبي صلى الله عليه وسلم

يُعطى كل نبي معجزة - آية – ومعجزة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم، وحيث أن نبوته صالحة من يوم مبعثه إلى قيام الساعة، ولذلك كان من الضروري أن تكون معجزته متسمة بالاستمرارية إلى الأبد. ومن هنا، فالقرآن الكريم يعتبر معجزة خالدة له صلى الله عليه وسلم بشكل أبدي.

وقد طالب خصوم الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعجزات مثل تلك التي كانت للأنبياء السابقين، ولكن القرآن صرّح بوضوح أنّ مثل تلك المعجزات لن تكون وشيكة، وقد ورد ذكر ذلك في سورة الإسراء قال تعالى(وما منعنا أن نرسل بالآيات إلاّ أن كذّب بها الأولون ... الآية

وقد ذكر ذلك القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم في سورة الأنعام (وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكوننّ من الجاهلين) آية ٣٥.

بدلا من ذلك،فقد صار القرآن الكريم معجزة له صلى الله عليه وسلم قال تعالى في سورة العنكبوت ((وقالوا لولا أنزل عليه ءايت من ربّه،إنّما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مّبين،أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم، إنّ في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يوؤمنون))

هناك العديد من الجوانب من سمات إعجاز القرآن الكريم،وهنا سوف نركز على ثلاث فقط وهي:

١- ظلت لغة القرآن – العربية – على عكس اللغات العالمية الأخرى شكلا حيا للتواصل على مرّ العصور.

٢- القرآن فريد من نوعه بين الكتب السماوية في أنّ نصه بقي على حاله الأصلي.

٣- تحدى القرآن المشككين فيه أن يأتوا كتابا مثله، لم يتمكن أحد من مواجهة هذا التحدي، وإنتاج أي شيئ يمكن مقارنته في العالم اليوم.

لايزال الملايين من الناس يتحدثون ويكتبون باللغة التي نزل بها القرآن منذ ما يقرب من ١٥٠٠عام

وهذا يقدم أدلة مذهلة على الطبيعة الإعجازية للقرآن، فلا يوجد كتاب آخر في التاريخ استطاع إحداث مثل هذا التأثير على لغته، ولايوجد كتاب آخر صاغ لغة كاملة وفقا لأسلوبه الخاص، وحافظ عليها بهذا الشكل على مرّ القرون.

خذ الانجيل، المعروف باسم العهد الجديد وأقدم نسخة موجودة منه مكتوبة باليونانية، وليست الآرامية، وهي اللغة التي يعتقد أن يسوع قد تحدث بها، وهذا يعني أننا لانملك سوى حساب مترجم لما قاله النبي عيسى عليه السلام، وفعله ةهذا أيضا في اليونانية القديمة، والتي تختلف اختلافا كبيرا عن اللغة الحديثة.

بحلول نهاية القرن التاسع عشر ، تغيرت اللغة اليونانية كثيرا لدرجة أن معنى مالايقل عن ٥٥٠ كلمة في العهد الجديد حوالي ١٢ % من النص بأكمله لم يكن معروفا. في ذلك الوقت اكتشف الخبير الألماني أدولف ديسمان بعض اللفائف القديمة في مصر. وقد ظهر لديهم، أن اليونانية التوراتية كانت في الواقع نسخة عامية من اليونانية الكلاسيكيةن تم التحدث بهذه اللغة في فلسطين خلال القرن الأول الميلادي.

كان ديسمان قادرا على إرفاق المعاني ببعض الكلمات المجهولة، ولكن هناك خمسون كلمة أخرى لاتزال معانيها مجهولة الأناجيل ويسوع التاريخ تأليف: **(كزافييه ليون دوفور، إش جي)** أجرى إرنست رينان (١٨٢٣ – ١٨٩٤) بحثا مكثفا جول اللغات السامية، كتب كتابا عن مفرداتهم، قال فيه ذلك عن اللغة العربية: ((اللغة العربية هي الحدث الأكثر إثارة للدهشة في تاريخ البشرية. لم تكن معروفة خلال الفترة الكلاسيكية، فهي ظهرت فجأة كلغة متكاملة، بعد ذلك لم تخضع لأية تغييرات ملحوظة، لذلك لايمكن للمرء أن يحدد لها مرحلة مبكرة أو متأخرة، فهي نفس ماعليه اليوم كما كان عندما ظهرت لأول مرة.

اعترافا بهذا "الحدث المذهل في التاريخ البشري" فإن رينان،المستشرق الفرنسي، هو في الواقع يعترف بالطبيعة الإعجازية للقرآن التي حافظت على اللغة العربية من التغيير، عكس ماحدث للغات الأخرى.

المسيحي جورجي زيدان (١٨٦١ – ١٩١٤) هو أحد العلماء الذين أدركو هذه الحقيقة، كتب في كتاب عن الأدب العربي " لايوجد كتاب ديني كان له مثل هذا التأثير على اللغة التي كتب بها كما كان للقرآن في الأدب العربي"

لقد تغيرت لغات العالم كثيرا على مرّ العصور لدرجة أنّه لايوجد خبير في أي لغة حديثة قادر على فهم شكلها القديم دون الاستعانة بقاموس.

هناك سببان رئيسان لاضطرابات تغيير اللغة في النظام الاجتماعي للأمة،وتطورها أدبها.

على مر القرون، كانت هذه العوامل تعمل باللغة العربية تماما كما هو الحال في اللغات الأخرى.

الفرق هو أنّهم لم يتمكنوا من تغيير بنية اللغة العربية. اللغة العربية التي يتم التحدث بها اليوم، هي نفس التي كانت موجودة في مكة عند نزول القرآن،يَعتبر إلياد هوماس (٨٥٠ قبل الميلاد) وتولسي داس رامايانا(١٦٢٣) ومسرحيات شكسبير،(١٥٦٤-١٦١٦) روائع أدبية للغاتهم الخاصة. لقد تمت قراءتها، وفي حالة مسرحيات رامايانا وشكسبير تم أداؤها بشكل مستمر من وقت تجميعها حتى اليوم الحالي،ولكن لا قيمتها الأدبية ولاشكلها كان قادرا على منع اللغات التي كتب بها من التغيير.

اليونانية هوميرو،السنسكريتية لتوالسي داس،وحتى الانجليزية لشكسبير،أصبحت الآن لغات كلاسيكية وليست حديثة.

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي صاغ لغة وحافظت عليها بنفس الشكل على العصور ،كانت هناك العديد من اضطرابات الفكرية والسياسية في الدول العربية ، لكن اللغة العربية بقيت كما كانت عند نزول القرآن الكريم،لم يتمكن أي تغيير في النظام الاجتماعي العربي من تغيير اللغة العربية بأي شكل من الأشكال،هذه الحقيقة هي دلالة واضحة على أن القرآن ورد إلينا من مصدر خارق للطبيعة.

لايتعين على المرء أن ينظر إلى أبعد من تاريخ ١٥٠٠ سنة الماضية ليرى الطبيعة الإعجازية للكتاب الذي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم.

اضطرابات إجتماعية

يوضح مثال اللاتينية كيف تؤثر الاضطرابات الاجتماعية على اللغات. رغم أن إيطاليا أصبحت في الأيام الأخيرة مركزا للاتينية، لم يكن منتجا لذلك البلد حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد، خلال العصر الحديدي، انتشرت العديد من قبائل أوروبا الوسطى في المناطق المحيطة،البعض منهم وخاصة قبائل جبال الألب التي دخلت إيطاليا واستقرت في روما وماحولها، واختلطت لغتها الخاصة مع لغة القرن الثالث قبل الميلاد. قام لوبوس أندونيكوس بترجمة بعض الحكايات والمسرحيات اليونانية إلى اللاتينية مما جعلها لغة أدبية.

تأسست الامبراطوية الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد، وأصبحت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية.

تم تعزيز اللاتينية بشكل أكبر من خلال انتشار المسيحية، بدعم من المؤسسات الدينية والسياسية،وبدعم من القوى الاجتماعية والاقتصادية.

استمرت اللغة اللاتينية في الانتشار حتى وصلت في النهاية إلى أوروبا القديمة بأكملها تقريبا. في وقت القديس أوغسطين،كانت في ذروتها،وحتى في العصور الوسطى، كانت تعتبر أهم لغة عالمية.

كان القرن الثامن الميلادي عصر الفتح الإسلامي، اضطر الرومان إلى اللجوء إلى القسطنطينية وطردوا الرومان من آخر معقل لهم.

وقد مكّن انهيار الإمبراطورية الرومانية من ازدهار لغات محلية مختلفة، على وجه الخصوص، الفرنسية والإيطالية، والإسبانية، والبرتغالية، كان للاتينية تأثير قوي عليها جميعا،كونها اللغة التي أشتق منها جميعها، لكنها بقيت نفسها فقط كلغة رسمية للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، لم تعد لغة حيّة، بل كانت في النهاية ذات أهمية تاريخية فقط،على الرغم من أنها استمرت في توفير الأسس اللغوية للمصطلحات التقنية والقانونية والعلمية.

على سبيل المثال: بدون الفهم الجيد للاتينية، لايمكن قراءة مبادئ نيوتن في الأصل، اتبعت كل لغة كلاسيكية نفس النمط المتغير مع الظروف الاجتماعية إلى أن تفسح اللغة الأصلية الطريق في النهاية للغة أخرى متغيرة تماما.

لطالما ترك الاندماج العرقي والثورات السياسية والاشتباكات الثقافية بؤرا عميقة البصمة على لغة أولئك الناس المتضررين، وقد عملت هذه العوامل بمجموعها على اللغة العربية خلال ١٥٠٠ سنة الماضية،ولكن بشكل مثير للدهشة أنها بقيت

على حالها. هذه المرونة الاستثنائية للغة العربية ترجع بالكامل إلى التعويذة الإعجازية التي ألقاها القرآن عليها.

بعد مجيئ الإسلام، استقر العرب في كثير من أجزاء إفريقيا وآسيا، حيث تم التحدث بلغات أخرى إلى جانب العربية، ورغم اختلاطهم بالآخرين، لم يكن للأعراق الأخرى أي تأثير على لغة العرب،التي احتفظت بحالتها الأصلية.

هناك أيضا حالات تَحوّل فيها أشخاص آخرون إلى العربية – مثل القبائل اليهودية

التي غادرت سوريا عام ٧٠م واستقرت في المدينة حيث بعد أن تواصلوا مع قبيلة عماليقة الناطقة بالعربية، تبنوا اللغة العربية التي يتحدثونها، كانت مختلفة عن اللغة العربية الشائعة، واحتفظوا بالتأثير العبري القوي.

في القرن الأول بعد نزول القرآن الكريم، تعرضت اللغة العربية لنوع من القوى التي تسببت في تغيير جذري لها، حدث هذا عندما انتشر الإسلام بين مختلف القبائل العربية الذين بدأوا يتجمعون في المدن الإسلامية الكبرى.

فالترنيم واللهجة يختلفان من قبيلة إلى أخرى، لدرجة أن أبا بكر أبوعمروا بن العلا إلى القول بأن قبيلة حمير لاتتحدث لغتنا،مفرداتهم تختلف تماما عن مفرداتنا.

أتى عمربن الخطاب بأعرابي مرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم كان قد سمعه يتلوا القرآن الكريم، حيث أن الأعرابي كان ينطق بكلمات من القرآن بطريقة غريبة بحيث لم يستطع عمر بن الخطاب أن يحدد في أيّ من كتاب الله كان يقرأ.

ومرة تحدث النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفد زائر من بعض القبائل العربية بلهجتها الخاصة، بدا الأمر لعلي بن أبي طالب كما لو كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم بلسان أجنبي. والسبب الرئيسي لهذا الاختلاف،هو الاختلاف في اللهجة، على سبيل المثال: إن بني تميم الذين كانوا يعيشون في الجزء الشرقي من نجد، ينطقون بـ حرف "الجيم" (ياء) فكلمة (مسجد) ينطقونها بـ (مَسْيد) بدلا من (المسجد) وبدلا من (الشجرة) يقولون(شيرة)

وينطقون حرف (ق) بحرف (الجيم) فيقولون _طريج) بدلا من (الطريق) ويقولون (صديج) بدلا من (الصديق) ويقولون (جدر) بدلا من (القدر) ويقولون(جاسم) بدلا من(القاسم)

وفقا للأنماط اللغوية العادية، كان ينبغي أن يؤدي إلتقاء القبائل التي تتحدث مثل هذه اللهجات المختلفة إلى بدء عملية تغيير جديدة في اللغة العربية، ولكن هذا لم يكن كذلك، لقد حمت البلاغة الفائقة للغة العربية من أي تحول من هذا القبيل.

ماحدث بدلا من ذلك أوضحه الدكتور أحمد حسن الزيات: " بعد مجيء الإسلام، لم تبق اللغة العربية حكرا على أمة واحدة، بل أصبحت لغة كل من دخل في أي الدّين،ثم غادر هؤلاء العرب المسلمون موطنهم الأصلي، وفتحوا أراضي تمتد من: كاشغر في الشرق إلى جبل طارق في الغرب، كانت الفارسية، والقبطية،والبربرية، والعبرية، واليونانية،واللاتينية،والآرامية، والسوريانية من بين اللغات التي اتصلوا بها، كانت بعض هذه الدول أكثر تقدما سياسيا، وثقافيا من العرب.

ولقد كان العراق إحدى الدول التي دخلوها،فأصبح معقلا للحضارات القديمة، ومركز ثقافة للقبائل الرئيسة. واختلطوا بالإيرانيين،أسياد إحدى إمبراطوريتين عظيمتين في العالم.

الحضارة الرومانية المتقدمة للغاية، والديانة المسيحية الآخذة في التوسع، هذه الثنائية من القوات التي اشتبكوا معها،ومن بين الدول التي احتلوها كانت سوريا، حيث الفينيقيون والغساسنة،واليونانيون، والمصريون،والكنعانيون،تركت وراءها تقاليد بارزة في الأدب والأخلاق،ثم مصر ملتقى الفلسفة الشرقية والغربية،كانت هذه العوامل أكثر من كفاية لتغيير اللغة العربية، كما كان الحال مع الألسنة الأخرى التي تعرضت لقوى مماثلة. ولكن القرآن جعل كل تلك العوامل غير مجدية، مما يدل على نموذج من التميز الأدبي المنقطع النظير، بحيث لايمكن لأي قوة أن تضعف من سيطرة اللغة التي كتبت بها.

الفتوحات الإسلامية: لم تعد اللغة العربية ملكا لشعب واحد فقط، فقد أصبحت لغة العديد من الأمم والأجناس، عندما اعتنق العجم من آسيا،وإفريقيا الإسلام،تبنو اللغة العربية تدريجيا كلغة لهم، بطبيعة الحال، لم يكن هؤلاء المتحولين الجدد بارعين في التحدث باللغة كالعرب القدماء، ثم تأثر العر ب بدورهم باللغة التي يتحدث بها إخوانهم الجدد في الدين. كان تدهور اللغة العربية واضحا بشكل خاص في المدن العالمية الكبرى، حيث كان هناك المزيد من اختلاط الأعراق، في البداية كان عامة الناس هم أولئك الذين لم يولوا اهتماما كبيرا بالنقاط الدقيقة في علم اللغة مِن مَن تأثروا، وحتى النخبة المثقفة هي الأخرى لم تظل محصنة.

جاء رجل ذات مرة إلى بلاط زياد بن أمية،نَدَبَ: "إنّ أبينا هلك، وإنّ أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا" بهذه الصيغة النحوية الخاطئة.

أصبحت الأخطاء من هذا النوع شائعة، ومع ذلك ظلت اللغة العربية كما هي بشكل أساسي، إن اللغة العربية المكتوبة، المحصنة ببلاغة القرآن الفائقة، لم تفسد بفعل انحطاط النسخة المحكية، وظلت مستقاة في قالب القرآن.

ولإثبات الطبيعة الإعجازية للقرآن على الشخص أن يلقي نظرة إلى كل التجارب المؤلمة التي مرت بها اللغة على مدى ١٥٠٠ عام الماضية، لولا جناح القرآن الحامي لها، لكانت اللغة العربية قد تغيرت بالتأكيد.

وعليه، فقد ظل النموذج الغير المسبوق الذي أسسه القرآن هو المعيار الثابت للغة العربية الفصحى.

وقد شكل سقوط الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري تهديدا كبيرا للغة العربية. كانت بنوا أمية سلالة عربية بحتة،مناصرين أقوياء للقومية العربية، أخذوا ترويجهم للأدب واللغة العربية تقريبا لدرجة التحيز، كانت عاصمتها في دمشق، قلب الوطن العربي وقتئذ، حيث كان الجيش والإدارة المدنية تحت سيطرة العرب.

والآن تولى العباسيون مقاليد السطلة، نظرا لأن الدعم الإيراني هو الذي جلب الخلافة إلى العباسيين،كان من المحتم أن يحتفظ الإيرانيون بنفوذ قوي على إدارتهم، أدى هذا التأثير إلى نقل العاصمة إلى بغداد على العتبة من بلاد فارس،فقد أعطى العباسيون للإيرانيين حرية التصرف في شؤون الحكم، ولكنهم نظروا إلى العرب

وحضاراتهم بإزدراء، وبذلوا جهودا واعية لإضعافهم، على عكس الأمويين الذين فضّلوا العرب دائمًا في المناصب العليا.

مع تضاؤل المحسوبية المؤيدة للعرب، تمكن الإيرانييون والأتراك، والسوريون والعناصر البيزنطية، والبربرية من السيطرة على جميع شؤون المجتمع والدولة، وأصبح الزواج بين العرب وغير العرب أمرا شائعا. مع اختلاط الحضارات الآريّة والسامية، واجهت اللغة والثقافة العربية أزمة جديدة، نشأة من جرائه أحفاد أباطرة، وأباطرة بلاد فارس لإحياء حضارة أجدادهم.

كانت لهذه الأحداث تأثيرا عميقا على اللغة العربية، الحالة التي وصلت إليها في زمن الشاعر المتنبي (٩١٥- ٩٦٥) تتجلى في الاسطر التالية:

مغاني الشعب طيبا في المغاني##بمنزلة الربيع من الزمان

ولكن الفتى العربي فيـــــها##غريب الوجه واليد واللسان

ملاعب جنّة لو سار فيها ## سليمـان لســـــــار بترجمان

شرح: يقول منازل هذا المكان بين المنازل كالربيع في الأزمنة، يعني أنها تفضل سائر الأمكنة طيبا كما يفضل سائر الأمنة. يعني بالفتى العربي نفسه، يقول إني بها غريب الوجه،لا أُعرف،واليد،لأنه يكتب بالعربية،وهم يكتبون بالفارسية،وغريب اللسان،لأن لغتي العربية وهم عجم.

وأن مغانيه ملاعب جنة، ومواضع عزلة، فلو سار فيها سليمان لواجه من الجن مالايفهم، ولاحتاج إلى مترجم.

كانت العظمة الأدبية للقرآن هي وحدها التي حالت دون تشوه اللغة العربية بشكل دائم بسبب هذه الاضطرات.

لطالما عادت اللغة إلى قاعدتها القرآنية، كسفينة عادت إلى بر الأمان بعد أن نجت من عواصف مرقتة في أعالي البحار لتعود إلى مرفأه الآمن.

في عهد الخليفة المتوكل (٢٠٧ - ٢٤٧هـ) دخلت أعداد كبيرة من

الأعاجم، خاصة الإيرانيين والأتراك، الأراضي العربية، وفي عام **٦٥٦** قام المحارب المنغولي(هولاكو خان) بنهب بغداد. وفي وقت لاحق، لاقت الإمارة الإسلامية انتكاسة أخرى عندما سقطت الأندلس في عام **٨٩٨** في أيدي المسيحين.

لم تدم الأسرة الفاطمية التي سيطرة على مصر وسوريا طويلا، ففي عام **٩٢٣** تم استبدالهم بالأتراك العثمانيين في مساحات شاسعة من الأراضي العربية.

الآن انتقل مركز الحكومة الإسلامية من القاهرة إلى القسطنطينية، وأصبحت اللغة الرسمية التركية بدلا من العربية، والتي استمرت في استيعاب عدد من الكلمات والعبارات الأجنبية .

أمضى العالم العربي خمسمائة وخمسين سنة تحت راية ملوك العجم،حتى أن حكام الفرس، والأتراك والمغول قاموا بمحاولات لمحو كل آثار اللغة العربية، فأحرقوا المكتبات العربية ،ودمّروا المدارس، فوجد علماء اللغة أنفسهم في عار.

شنّ الأباطرة العثمانيون حملة معادية للعربية أطلق عليها المصلح المعروف: جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ – ٩٧) اسم "تتريك العرب" ولكن لم يكن هناك جهد قوي بما يكفي لإحداث ندبة دائمة على وجه العروبة.

شنّ التتار هجمات شرسة على اللغة العربية والأدب العربي في بخارىن وبغداد، ومن قبل الصليبيين في فلسطينن وسوريا، ثم من قبل الأوروبيين الآخرين في الأندلس، وفقا لتاريخ اللغات الأخرى، كان ينبغي أن تكون هذه الاعتداءات على الثقافة العربية كافية للقضاء على اللغة العربية تماما.

إن المرء ليتوقع أن تكون العربية قد أتبعت مسار اللغات الأخرى واندمجت مع اللغات السامية الأخرى. في الواقع، سيكون صحيحا أن نقول إنه إذا لم تصطدم العربية بالجهل التركي، والتحيز الفارسي، ولايزال يتم التحدث بها في جميع أنحاء العالم الإسلامي بأسره اليوم، يعود سبب بقائه في العالم العربي إلى

التأثير الإعجازي للقرآن الذي أجبرت عظمته الناس على البقاء مرتبطين باللغة العربية.

ولقد أُلهم بعض علماء العرب كابن منظور(٦٣٠- ٧١١) وابن خلدون(٧٣٢ – ٨٠٨) لإنتاجهما في تلك الفترة الشاقة أعمالا ذات تفوق أدبي وأكاديمي متميز، ما يعتبر تحديا لحكومة تلك الفترة.

وكان دخول نابليون إلى القاهرة (١٧٩٨) إيذانا ببدإ عصر المطبعة في الشرق الأوسط، وأصبح التعليم هو النظام اليومي.

وقد مُنحت اللغة العربية حياة جديدة ومع ذلك،فإن قرونا من السحق الذي لاقته العربية كان حتما أن يترك بصماته، فبدلا من العربية الفصيحة، استعمل مزيج من العربية والتركية كلغة رسمية في مصروسوريا.

تغير الوضع مرة أخرى مع الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢. لقد عارضو اللغة العربية بكل قوتهم، وفرضوا اللغة الانجليزية الإجبارية في المدارس، وحذفوا اللغات الأخرى من المناهج، وهكذا فعل الفرنسيون في المناطق التي سيطروا عليها. ومع القوى الإستعمارية أجبروا رعاياهم على تعلم لغاتهم، عاشت اللغة العربية في ظل اللغتين الإنجليزية والفرنسية لأكثر من مائة عام ومع ذلك فقد ظلت في شكلها الأصلي، ولاننكر بالتأكيد أنها استوعبت

كلمات جديدة، فعلى سبيل المثال: كلمة "دبابة" والتي كانت تستخدم سابقا كآلة قصف بسيطة.

ظهرت أنماط جدية من الكتابة وذلك عندما يريد أي شخص أن يكتب عنوانا لكتاب كتبه حول تبني الناس للإسلام اليوم، فقد يسميه "لماذا أسلمنا" بينما في الأيام الخوالي كانت العناوين البديعية الإيقاعية المزخرفة هي المفضلة.

التقدم الأدبي:

من حين لآخر،يظهر الكتّاب المتميزون في المشهد الأدبي للغة، وعندما يحدث ذلك،فإن اللغة التي يكتبون بها تخضع لبعض الغيير لأن روائعهم الأدبية تؤثر على نمط التعبير الشعبي، بهذه الطريقةن تمر اللغات باستمرار بمراحل مثل تطورية تقدمية، حتى تصبح في النهاية مختلفة تماما عن شكلها الأصلي، مع العربية، لم يحدث هذا، في بداية التاريخ العربي،وضع القرآن معيارا أدبيا لايمكن التفوق عليه، وقد حافظت العربية على هذا المعيار الذي حدده لها القرآن.

لم يكن من المقرر بعد نزول القرآن إنتاج كتاب مثله، لذلك ظلت اللغة العربية مصبوبة في قالب تلك السمفونية الإلهية.

ولأخذ اللغة الإنجليزية كمثال، ففي القرن السابع بعد الميلاد،كانت مجرد لهجة محلية عادية غير موجه للتعبير عن الفكر العميق، واستمر هذا الوضع معها لمدة خمسمائة سنة.

غزا النورمانديون إنجلترا عام ١٠٦٦م وعندا ولد الأب المؤسس للغة الإنجليزية - **جيفري تشوسر** حوالي عام ١٣٤٠ كانت اللغة الرسمية لمحكمتهم لاتزال الفرنسية.كان تشوسر نفسه يتقن اللغات اللاتينية والفرنسية والإيطالية إلى جانب لغته الأصلية: الإنجليزية، هذا إلى جانب مواهبه العظيمة من المنح الدراسية، مكّنه من تحويل اللغة الإنجليزية إلى لغة أكاديمية لاستخدام كلمات **إرنست هاوزر**.لقد أعطى اللغة الإنجليزية دفعة قوية من خلال حكايات **كانتربري**. حوّل تشوسر اللهجة إلى لغة،مما مهّد الطريق لإحراز تقدم جديد في الأوقات القادمة لمدة مائتي عام، اتبع الكتّاب والشعراء الإنجليز إرشادات تشوسر عندما ظهر ويليام سكسبير(١٥٥٨ -١٦٢٦) على الساحة على الساحة، خطت اللغة الإنجليزية خطوة أخرى إلى الإمام وضعت مسرحياته وقصائده معيارا أدبيا جديدا، مما مكّن اللغة الإنجليزية من المضي قدما إلى الأمام.

وكان لمجيء عصر العلم بعد مائتي عام تأثير هائل في كل طبقة من طبقات المجتمع، حيث بدأت اللغة تسير وفق إملاءات العلم، أصبح النشر أكثر شعبية من الشعر،و التعبير الواقعي أكثر فعالية من رواية القصص.

عشرات الشعراء والكتّاب من جوناثان سويفت (١٦٦٧- ١٧٤٥)

إلى "تي"، "أس" إليوت (١٩٦٥ – ١٨٨٨)كان يمثّل هذالا

الاتجاه، فهم كانوا حقا صانعي العصر الحديث للأدب الإنجليزي الذي نمر به الآن. حدث الشيء ذاته مع لغات أخرى، فقد ظهر كتّاب أو مجموعة كتّاب واستمروا في الظهور وصاروا أكثر شهرة من أسلافهم،ومع ظهورهم، واصلوا في نقل اللغة إلى دورة جديد، وفي النهاية، تغيرت كل لغة لدرجة أنه أصبح من المستحيل على الشخص فهم الشكل القديم للسانه دون مساعدة القواميس والتعليقات.

هناك استثناء واحد فقط لهذا الاتجاه العالمي، هو اللغة العربية،إنّ ما أثبته القرآن، بأنه لن يتمكن أحد من تأليف كتاب مثله وقد برهن على ذلك ماتم إثباته من قبل. ولمزيد من الإثبات على هذه الحقيقةن يحتاج المرء فقط إلى إلقاء نظرة على المحاولات المختلفة التي مرت عبر القرون لإنتاج عمل مساو للقرآن، فقد باء كل تلك المحاولات بالفشل الذريع، فمسيلمة بن حبيب، وطليحة بن خويلد، النذر ابن الحارث،وابن الراوندي، وأبو العلاء المعري، وابن المقفع،والمتنبي وغيرهم مثير، قاموا بمجهودات فاشلة، مثل إشارة مسيلمة الغريبة إلى نعمة الله على المرأة الحامل، وذلك بانتزاع حياة نقية منها بين المعدة وغشاء الجنين، وهذه غريبة وتبدوا سخيفة عند مقارنتها بجلالة القرآن الكريم الأدبية.

وثمت أكبر دليل على تحدي القرآن الكريم في سورة الإسراء الآية ٨٨ **(قل لئّن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن،لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** يأتي مما أسماه إرنست رينان"المعجزة اللغوية"كما هو الحال

مع كل اللغات الأخرى،ظهر أساتذة اللغة العربية –كبار الشعراء والكتّاب – على مرّ العصور،ولكن في ١٥٠٠عام منذ نزول القرآن، لم يستطع أحد أن ينتج عملا يتوقف عليه، ولم يطرأ أي تحسن على مستواهان وظلت اللغة العربية يشبه تأشير الكاتب الذي أنتج عملا أدبيا متميزا في بداية تاريخ اللغة بعد أن يكون لمثل هذه بصماتها،لايمكن لأي كاتب أقل أن يغير وجه اللغة.

نزل القرآن الكريم باللغة العربية مصبوبا في قالب أدبي أعلى، لم يسبق له التاريخ مثيلا، لا من قبل ولا من بعد. من خلال إدراج إضافات حيوية على أساليب التعبير التقليدية، فتح القرآن الكريم الطريق لتوسيع اللغة العربية. وخير مثال على ذلك، استخدام كلمة "أحد" في سورة الإخلاص والذي يدور حول الواحدانية، وقد استخدم في السابق في سياق الإضافة(أحدنا) على سبيل المثال،أو لليوم الأول من الأسبوع(السبت) أو يوم(الأحد) وتم استخدامه في الحوار العام.كقوله (ماجاءنا أحد) ولكن استخدام كلمة (أحد) كصفة لله تعالى، فقد استخدم القرآن الكريم كلمة(أحد) في سياق جديد تماما.

أورد القرآن العديد من الكلمات الأجنبية إلى الاستخدام العربي، على سبيل المثال، كلمة (استبرق) من الفارسية، و(القصورة) من الحبشية،و(الصراط) من اليونانية، و(اليم) من السوري، و(الغسق) من التركية، و(القسطاس من اللاتينية، و(الملكوت) من الآرامية، و(الكافور) من الهندية. يخبرنا القرآن الكريم في سورة الفرقان عن انبهار مشركي قريش، وذهولهم لكلمة (الرحمن) قال تعالى(**إذا قيل لهم اسجدوا للرحمن، قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا**)لأن

هذه الكلمة ليست عربية،فهي مأخوذة من لغة الصابئة، والحميري، لغتا مسيحيو اليمن والحبشة كانوا يطلقون على الله لفظ "**رحمنان**" مما اعتبره المكيون لفظا أجنبيا عندما ورد في القرآن في سياق معرب، واستفسروا عن معنى كلمة" الرحمن"غير مدركين لخلفيتها اللغوية.

هذا، وقد استخدم في القرآن أكثر من مائة كلمة غيرعربية من هذا النوع مأخوذة من لغات بعيدة، مثل الفارسية واللاتينية،والنبطية، والعبرية، والدورية، والقبطية وغيرها كثير.

على الرغم من أنّ القرآن نزل بشكل رئيسي بلغة قريش، فقد تم تضمين الكلمات التي تستخدمها القبائل الأخرى.

رغم كون عبدالله بن عباش قرشيا مسلمان فقد تحير عندما ظهرت كلمة "فاطر" في القرآن الكريم. حيث قال: لم أكن أعرف ماتعنيه عبارة (فاطر السماوات والأرض) واستطرد قائلا: ثم سمعت قول أعرابي يقول إنه(فطر بئرا) عندما بدأ للتو في حفرها، ومن هنا، عرفت كلمة "فاطر"

يقول أبوهريرة رضي الله عنه إنه لم يسمع كلمة "سكين" قط حتى سمعها في سورة يوسف، وقال: اعتدنا دوما أن نطلق على السكين اسم " المدية"

كما أشار جمال الدين السيوطي في كتابه (الإتقان) على أن العديد من الكلمات ينطق بها بشكل مختلف من مختلف القبائل العربية. أخذ القرآن الكريم من هذه الكلمات واستخدمها في أنقى صورها الأدبية.

فقد استخدمت قريش على سبيل المثال كلمة "أعطى" بينما كان (الحميريون) ينطقونها بـ "أنطا" اختار القرآن "أعطى" على "أنتا"

....

....

مما يعني أن الاتجاه العام كان تفضيل القالب القرشي على غيره، وقد يعكس هذه الطردية العامة في تفضيل القالب القرشي أحيانا، كما هو في قوله تعالى: (ولا يلتكم من أعمالكم من شيء) حيث اقتبس هذه من لهجة بني عباس.

في إعطاء الكلمات والتعابيرالعربية القديمة عمقا جديدا وجمالا للتميز الأدبي، والتي لايمكن لأي كاتب في المستقبل أن يحسّنها أكثر،فإنه نقّح بعض الاستعارات، وأعاد صياغتها في شكل أكثر بلاغة مما سمع من قبل.

والحال كما وصف الشاعر العربي القديم، سرعة زوال هذه الدنيا الفانية، وأن الخلدود فيها محال:

كلُّ ابنِ أُنثى، وإن طالتْ سَلامَتُه، ... يَوْماً على آلةٍ حَدْباءَ مَحمولُ

فقد ساق القرآن الفكرة نفسها في كل كلمات موجزة مؤثرة، في سورة آل عمران قوله تعالى(كل نفس ذائقة الموت)

يمثّل القتل والنهب مشكلة كبيرة في شبه الجزيرة العربية، وقد صاغ القرآن عبارة معينة للتعبير عن فكرة أن القتل وحده هو الذي يمكن يضع حدا له.وكانت هذه العبارات بليغة في العصر الجاهلي ونسوق منها:

"قتل البعض عبارة عن منح الحياة للآخرين" وقال الآخر" أُقتل المزيد حتى يكون هناك أقل قتلا"القتل أنفى للقتل" وهناك أمثلة أخرى.

وقد عبّر القرآن عن هذه المعاني بقوله تعالى(ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب) سورة البقرة آية ١٧٩.

ففي عصر ما قبل القرآن، احتل الشعر مكانة مرموقة في اللغة العربية كما هو الحال في لغات العالم الأخرى.

فقد أعطى التعبير الشعري للأفكار مكانة مرموقة في الساحة الأدبية، ولكن القرآن الكريم عدل عن هذا المنحى المتبوع، واستخدم النثر بدلا من الشعر،وهذا في حد ذاته دليل على أن القرآن منزّل من عند الله تعالى.في القرن السابع الميلادي،من يقدرخلا الله- أن يعرف المستقبل بكنهه كمعرفته الماضي - أي أنه سيُختار النثر بدلا من الشعر ليكون وسيطا لكتاب الله تعالى الذي سيبقى للابد،مخاطبا للأجيال القادمة، وسرعان ما سيصبح الشعر أقل أهمية كوسيلة اتصال جماعية.

كانت لغة الخطابة البلاغية رائجة للغاية قبل نزول القرآن الكريم،ولكن لأول مرة في تاريخ الأدب، قدم القرآن أسلوبا واقعيا، وليس بلاغيا، حيث كانت أشهر مواضيع المعالجة الأدبية في السابق: مآثر عسكرية وغزلية،على العكس من ذلك، فقد أورد القرآن الكريم بين دفتيه طيفا أوسع بكثير، بما في ذلك المسائل ذات الأهمية الأخلاقية، والقانونية، والعلمية، والنفسية، والاقتصادية،والسياسية، والتاريخية.

في العصور الغابرة،كانت الأمثال وسيلة شائعة للتعبير، وهنا أيضا، شق القرآن الكريم طريقا جديدا متبنيا بذلك منهجا مباشرا في طريقة التحدث بالأشياء، فطريقة التفكير التي وظفت في القرآن الكريم، يختلف بشكل فائق عن التي وظّفت في عصور ما قبل القرآن الكريم، في حين أنّ الدليل النظري البحث والقياسي كان كل ما عرفه العالم قبل ذلك، فقد منح القرآن الكريم التفكير العلمي التجريبي،ولضمان منجزاته، فقد عبر القرآن الكريم عن كل ذلك بأسلوب أدبي شيّق سيخلد للأبد.

هناك مقولة عربية قديمة"إنّ أجمل قصيدة هي التي تنطوي على أكاذيب"

غير أن القرآن غيّر هذا النمط، وجاء بأسلوب جديد في المنطق والبيان قال تعالى(علّمه البيان) مبنيا على حقائق يمكن التحقق منها بدلا من الخرافات الافتراضية، وقد سلك اللغة العربية مسلك القرآن الكريم، حيث جمع الأدب العربي الجاهلي مع مراعات حفظ وفهم أسلوب القرآن الكريم، وظهرت على الساحة، المؤسسات التعليمية العريقة التي لعبت دورا كبيرا في تسهيل فهم القرآن وتفسيره، وبيان أوامره ونواهيه، والنحو والأصولن وعلم الكلام، والتراث الإسلامي، وكذا الدراسات القرآنية لتيسير فهم فهم القرآن الكريم، وحتى في مواضيع التاريخ، والجغرافيا تم تناولها كجزء من محاولة العرب لفهم وتطبيق تعاليم القرآن الكريم.

لايوجد نموذج آخر لكتاب في العالم بأسره له مثل هذا التأثير الهائل على قوم ولغتهم،فمن خلال تطوير اللغة العربية وتحسينه، أصبح القرآن الكريم تحفة أدبية

رائعة، يمكن لأي شخص يعرف اللغة أن يقيس الجودة الفريدة لأسلوب القرآن الكريم مقارنة بأي عمل آخر في الأدب العربي.

سنختم هذا الفصل بسرد قصة يصور بوضوح الفرق بين عمل الرب جل جلاله، وبين عمل الإنسان وهو مااقتبسناه من تفسير القرآن الكريم للشيخ الطنطاوي (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) في الثالث من شهر يونيو **١٩٣٢**م كتب الطنطاوي "قابلت الكاتب المصري: كامل جيلاني، وحكى لي قصة رائعة، قال فيها: ذات يوم كنت مع مستشرق أمريكي اسمه: فينكل،الذي استمتع معه علاقة فكرية عميقة، همس في أذني قائلا: هل مازلت من بين أولئك الذين يعتبرون القرآن معجزة؟

همس فينكل في أذن الجيلاني، مضيفا ضحكة للدلالة على السخرية من مثل هذا الاعتقاد. كان يعتقد أن المسلمين إنما تثبثوا بهذا من منطلق إيمان أعمى والذي لايقوم على أي منطق سليم وموضوعي. اعتقادا منه أنه قد أصاب كبد الحقيقة، كان **فينكل** مسرورا، وواثقا بنفسه بشكل كبير، وعند رؤية موقفه، بدأ الجيلاني هو الآخر بالضحك! وقال قبل أن يصدر أي بيان عن أسلوب القرآن، يجب أن ننظر أولا لنرى إن كنا نستطيع أن ننتج أي شيء مشابه لها. فقط عندما نجّرب ما بمقدورنا فعله، عندئذ يمكننا أن نقول بشكل قاطع ما إذا كان بإمكان البشر إنتاج أي شيء يمكن مقارنته بالقرآن الكريم أم لا.

ثم دعا جيلاني فينكل للانضمام إليه في وضع فكرة قرآنية في كلمات عربية، والفكرة التي اختارها كانت:

"نارجهنم واسعة للغاية"،وافق فينكل جلس الرجلان ومعهما قلم وورقة بينهما، أنتجو حوالي عشرين جملة عربية. " نارجهنم واسعة للغاية" " نار جهنم أوسع مما تتخيله عقل إنسان" "لايستطيع الإنسان إدراك مدى سعة نار جهنم" والعديد من الأمثلة من هذا النوع الذي أنتجوها. لقد حاولوا حتى انتهى عجزوا أن إتيان جملة أخرى للتعبير عن هذه الفكرة. نظر جيلاني إلى فينكل منتصرا. والآن قد بذلنا جهدنا ، سنكون قادرين على أن نرى مدى سمو القرآن فوق كل هذه الأعمال من أعمال البشر.

سأل فينكل قائلا: هل عبّر القرآن عن هذه الفكرة ببلاغة أكثر؟ أخبره جيلاني، نحن مثل أطفال صغار مقارنة بالقرآن. سأله فينكل متعصبا مالذي أورده القرآن في هذا السياق؟ تلا جيلاني هذه الآية من سورة (ق) قال تعالى(يوم نقول لجهنم هل امتلأت فتقول من من مزيد،) فوجئ فينكل سماع هذه الآية مندهشا من البلاغة الفائقة للقرآن الكريم، واعترف صراحة بالهزيمة، قائلا: كنت على حق، كنت على حق تماما، فأنا أعترف بالهزيمة بلا تحفظ.

أجاب جيلاني قائلا: ليس بالغريب أن تعترف بالحقيقةن فأنت رجل متعلمن تدرك جيّدا أهمية الأسلوب في اللغة.

كان هذا المستشرق بالذات يجيد الإنجليزية، والألمانية، والعبرية،والعربية، وأمضى كل حياته في دراسة أدب هذه اللغات) الشيخ الطنطاوي الجواهر في تفسير القرآن الكريم المجلد الثالث والعشرون صـ (١٢- ١١١)

الفصل الثالث

القرآن: كلام الله

لقد درست الماركسية مؤخرا بتفصيل كبير، وكوّنت انطباعا بأن ماركس كان رجلا يتمتع بذكاء وروح غيرعاديين. قلة من الرجال من يحمل هذه الموهبة،يمكن أن يكونوا قد ظهروا في سجلات التاريخ.

ومع ذلك، عندما رؤيته حول التحسين من حالة الإنسان، كانت العلاجات التي قدمها في غاية من الحماقة لم تكن لها مثيل، والسؤال هو: لماذا وقع في أمر كهذا؟ والسبب الرئيسي هو أنه لم يدرس القرآن الكريم، وأنه لم يكن قد ذهب إلى هذ المصدر العظيم للمعرفة، والذي بدونه لايمكن الوصول إلى رأي سليم ومحدد، على تقلبات الوجود الإنساني.

يجب الاعتراف بأن الكون لغز، وأن الكتاب الوحيد الذي يستطيع حل هذا اللغز بالنسبة لنا هو القرآن الكريم، لايمكن للبشر العاديين حل ألغاز الحياة والكون بدون وحي كتاب الله تعالى. إن الأدوية مصحوبة بأوراق تشرح الأمراض المصممة لعلاجها،وكيف ينبغي استخدامها وماهي وصفاتها الطبية، ولكن الإنسان جاء إلى هذا العالم،ووجد نفسه في وضع لايستطيع معرفة نفسه ولا عن سبب وجوده هنا.ولم يحصل على كتيّب مناسب ترافقه، كما لا توجد لوحات إرشادية مثبتة على قمم الجبال لإعطائه التوجيهات أو لتزويده بالإجابات على أسئلته.

نتيجة لذلك، شكل الإنسان آراء غريبة عن نفسه والأرض والسماء، لأنه يجهل الحقيقة الجوهرية للحياة، وعندما يفحص كيانه يبدو له أنه تراكم مذهل للقوى الفكرية والجسدية.ورغم ذلك لم تكن له إرادة في إيجاد نفسه، ولم يلعب أي دور في خلقه نفسه، ثم ينظر إلى العالم الخارجي،وإلى عالم بهذه السعة الكبيرة، بحيث لايستطيع أن يحيط به أو يجتازه، ولايمكنه أن يحصي الكنوز التي يحتويه والتي لاحصر لها، ما كل هذه الأشياء؟ ولماذا وجد؟ من اين بدأ هذا العالم؟ وأين سينتهي؟ وماهو الهدف من الوجود؟ يجد نفسه في جهل مطبق بهذه المواضيع، فقد أعطي الإنسان البصر، ولكن كل ما يسعفه أن يفعل، هو رؤية الأشياء من ظواهرها، لقد أعطي الذكاء، ولكن مشكلة الذكاء البشري هي أنه لايعرف حتى أن نفسه، وحتى هذه اللحظة لم يتمكن الإنسان من معرفة كيفية إعمال العقل مع هذه الملكات الناقصة، لايمكنه الوصول إلى أي نتيجة سليمة عن نفسه، ولاهو قادر على معرفة الكون، إن لغز الكون حلّ عن طريق كتاب الله تعالى،لأنه يمكننا أن نقول عنه باقتناع كامل، أنه هو الكتاب المقدس الوحيد الذي أعطانا معرفة محددة بكل حقائق الحياة،إنما مثل أولئك الذين يحاولون معرفة الكون دون الرجوع إلى كتاب اللهن مثل أولئك المكفوفين الذين يحاولون معرفة ماهو الفيل من خلال لمس أجزاء مختلفة من جسده، سوف يلمس المرء ساقه ويظن أنه لمس عمودا، ويلمس الآخر أذنه، ويظن ظهرها منصة، وذيلها ثعبانا، وجذعها خرطوما، ولكن أين الفيل من كل هذا؟ بصرف النظر عن طريقة تحصيل هؤلاء المكفوفين النتائج التي توصلوا إليها، لايمكنهم الوصول إلى الإجابة الصحيحة، هذه هي الأزمة الحقيقية لجميع الفلاسفة والمفكرين الملحدين في محاولتهم لفهم طبيعة

الواقع في الكون، وذلك لأنهم فشلوا في الاسترشاد بالمعرفة الحقيقية، ونتيجة لذلك، كانت استنتاجاتهم مثل استنتاجات رجل يتخبط في الظلام،ويخاطر بالتخمينات الجامحة لطبيعة محيطه دون فهمها جيدا.

كان هناك أشخاص في هذا العالم، كرسوا حياتهم كلها للبحث عن الحقيقة، ولكنهم في يأسهم لعدم تمكنهم من العثور عليها،اتخذوا الخطوة القصوى ألا وهي عرض أنفسهم للموت.

ثم كان هناك آخرون ممن سعوا إلى الحقيقة،ولكنهم للبحث عن الحقيقة،ولكنهم فشلوا كذلك في العثور عليها، واستقروا على فلسفة مصطنعة قائمة على التخمين المحض. في حين أن الأخير، أعني المخطئين في التخمين من منطلق تفكيرهم، جمعوا استنتاجاتهم وقدّموها للعالم على أنها حقيقة. وبالتوازي رأى الأول أن ما كان عليه تكهنات وبالتالي رفضه، ثم انزعجو من منطلق عجزهم المطلق، واختاروا الخروج من هذا العالم الخامض.

فقد حرم كلتا المجموعتين من المعرفة الحقيقية،لأنه في الواقع لايمكن لأحد أن يفهم سر الحياة دون الاستعانة من مالك أسرار الكون الفعلي.

صحيح، لقد أعطي الإنسان القدرة على التفكير والفهم،ولكن هذه القدرة أفضل بقليل من العين التي يمكنها الرؤية طالما هناك مصدر خارجي للضوء،وفي الظلام الدامس،لاتستطيع هذه العين ذاتها أن ترى أي شيء على الإطلاق، إلا عندما يتم تشغيل الضوء، يصبح كلّ شيء مرئيا بوضوح،يحتاج العقل البشري – شأنه

في ذلك مثل العين – إلى النور، نور الوحي الإلهي، وإلا لظل في الظلام يتخبط إلى الأبد.

لولا الوحي الإلهي، لايمكننا أبدا الوصول إلى حقيقة الأشياء. لاحظ أحد الراسخين في العلم ذات مرة أن التعلم –كما هو معروف – لايتم اكتسابه عن طريق قراءة كتاب تلو كتاب،وامتلاك سلسلة من الدرجات من الكليات والجامعات،بل يتكون في المقام الأول على شكل من أشكال الإيمان.

كما يقول القرآن الكريم في سورة فاطر(إنّما يخشى الله من عباده العلماء...) الآية.ولكنه قال إنه فشل في فهم مغزى ذلك:أجبته قائلا: يعتبر كارل ماركس"نبيّا" في مجال الاقتصاد،لكنه لم يكن لديه ذرة واحدة من المعرفة الحقيقية التي تمتلكها اليوم بفضل الله. في مواجهة عالم استحوذ فيه عدد قليل من الإقطاعيين،ورجال الصناعة على نصيب غير متناسب من الثروة المتاحة،وخلص ماركس إلى أنّ معظم الناس يعيشون في فقر مدقع،وأن ما يكمن في جذور هذه الفوارق هو النظام الحالي للملكية التي تسببت في إنتاج سلع ليس لمنفعتها للمنتج، ولكن من أجل الربح الذي ستدره عند بيعها للآخرين، هذا الذي سمح للقلة المتميزة بالتصرف كمحتالين على الناس، في تكديس الأرباح وزيادة ممتلكاتهم على حساب غيرهم من الرجال.

والعلاج الذي اقترحه ماركس هو: إلغاء حقوق الملكية تماما،ونقل وسائل تجميع الثروة إلى القطاع العام، كان من المقرر أن يُعهد إلى الحكومة بعد ذلك بتنظيم نظام عام لإنشاء الثروة وتوزيعها، ما يلزم أن يخدم المصالح المشتركة، في تلك

المرحلة المحددة من الزمن ، إنّ من سمح لهم كسب الأرباح، هم فقط من يملك رأس المال اللازم.

والسؤال المطروح الآن حول الميزة الفعلية المتمثلة في(تولي الحكومة السيطرة الكاملة على هذه الأموال من أجل تحويلها إلى ثروة عامة.

ألا يمكن إغراء هذه المجموعة من الناس – أعضاء الحكومة – كأفراد للقيام بنفس الشيء مثل أسلافهم الرأسماليين مع الأخذ في الاعتبار أنهم سيمنحون أيضا الجيش والسلطات التشريعية.

كان تحليل كارل ماركس هو أن نظام الملكية معيب بالغيرة والفرص التي أتاحها للنهب المباشر. ووفقا له، فإن مثل هذه العيوب الاجتماعية ستختفي في المجتمع الشيوعي.

الآن أخبرني، سألت صديقي، هل كان كارل ماركس محقا في ظنه هذا؟ أجاب بالتأكيد لا. إن الإيمان بالحساب في الداتر الآخرة، هو الشيء الوحيد في هذا العالم الذي أن يطهر المرء من اتباع هوى النفس، ومن الأنانية. قلت هذا هو الجواب الحقيقي للمشكلة، أدت نظرية ماركس العصامية إلى أكبر قدر من القمع والقسوة في الأيام التي كانت فيها القوى السياسية، والاقتصادية يتقاسمها القياصرة والرأسماليون.

والآن في ظل النظام الشيوعي، إندمجت سلطات القياصرة في وحدة واحدة. والشخص العادي هو الذي يعاني، وكل هؤلاء الفلاسفة الذين حاولو اعتمادا على

أنفسهم غير الله في حل لغز الكون، قد سقطوا في نفس المزالق التي وقع فيها ماركس، بالنسبة لتفكيرهم، فإن المرء ليتعجب كيف يمكن لمثل هذه العقول العظيمة أن تنتج مثل هذه الاقتراحات الطفولية . ومثلهم مثل الكثيرين من أشباههم من المكفوفين، يحاولون بالتلمس، التعرف على فيل، ويصرح في النهاية أنه: أربعة أعمدة، أو أربعة جذوع الشجرة.

إنما يمكننا فحص ومعرفة الحياة والكون عندما نستضيء بضوء كتاب الله تعالى، حتى يتسنى لنا رؤية الأمور في صورتها الحقيقية، وعندئذ حتى الشخص الذي يتمتع بقدرة متوسطة جدا لايجد ثمة عرقلة في فهم حقيقة الأشياء، فيغوص للوهلة الأولى في صلب الموضوع، وفي شأن من لايملك هذه المعرفة، فإن الكون ليس سوى متاهة يتجول فيها ضائعا ومذهولا.

نحن مدينون بالكثير للعلوم الإنسانية، ورغم ذلك، فإن الحد الأقصى المطلق الذي يمكن أن نتعلمه منهم هو ماهية الكون.

وحتى الآن، لم يقدّموا لنا ذرة واحدة من المعرفة حول موضوع: **لماذا الكون كما هو عليه**؟ اجمع بعض الغازات والمعادن والأملاح معا، وبعدها قم بإيجاد إنسان متحرك وواع معا، ثم ضع البذور في الأرض وقم بتنمية النباتات والأشجار . قم بإجراء تغيير في الأعداد الذرية لظهور عدد لايحصى من العناصر. يتكون الماء من عنصرين فقط والذين بهما يتم تحضير أغلى السلع.يمنح البخار الناتج عن الحركة الجزيئية داخل الماء، يعطي المحركات الجامدة القدرة على الحركة. الالكترونات داخل الذرة صغيرة جدا بحيث لايمكن رؤيتها من خلال المجهر، لكنها أيضا مصدر

حيوي لقوة هائلة في تدمير الجبال، هذه كلها أمور واقعية، الأحداث العلمية تجري كما هو موصوف ولكن هذا الوصف هو الحد الخارجي لمعرفتنا العلمية.

عندما نسأل لماذا تبدوا الأشياء كما هي؟ ولماذا تحدث الاشياء كما هي؟
لايعطينا العلم البشري أي توجيه على الإطلاق، تظهر الدراسات في علم الفلك أن عدد النجوم في السماء لايقل عن عدد حبيبات الرمل الموجودة على جميع شواطئ كوكبنا، إن حجم العديد من النجوم أكبر بكثير من حجم كوكبنا الأرضي،حتى أن بعضها بحجمها الهائل يمكنها أن تستوعب مئات الآلاف من الأرض بداخلها، ولاتزال لديها مساحة لتفاديها، والقليل منها كبير بما يكفي لاحتواء الملايين من الأرض.

الكون شاسع لدرجة أن طائرة تحلق بأقصى سرعة يمكن تخيلها، أي بسرعة الضوء (**١٨٦،٢٨٢ ميلا في الثانية**) ستستغرق حوالي عشرة مليارات سنة لإكمال رحلة واحدة حول الكون كله.حتى مع هذا المحيط الضخم، فإن هذا الكون ليس ثابتا، ولكنه يتمدد كل لحظة في كل الاتجاهات، وهذا التوسع سريع جدا وفقا لتقدير إدينجتون، كل ١٣٠٠ مليون سنة تتضاعف جميع المسافات في هذا الكون. هذا يعني أنه حتى طائرتنا الخيالية التي تسافر بسرعة الضوء، لن تكون قادرة أبدا على الطيران في جميع أنحاء الكون،لأنها لن تكون على اللحاق بهذا التوسع اللامتناهي.

يستند تقدير اتساع الكون إلى نظرية النسبية لأينشتاين، ولكن هذا مجرد تخمين عالم رياضيات والحقيقة هي أنه لايزال على الإنسان لفهم مدى اتساع الكون.

تضعنا الدراسات البشرية وجها لوجه مع هذ الكون المذهل، وهناك يتركوننا بحيث لايخبروننا عن المعنى الحقيقي للكون.

إنهم لايخبروننا عن المسبب في وقوع الأحداث،وكذا لم يخبرونا عن من يتحكم بالسيطرة على الأجرام السماوية العظيمة التي تدور في الفضاء العريض.

إذا كنا نرغب في الحصول على إجابات لهذه الأسئلة، فيجب علينا الرجوع إلى القرآن الكريم. إذا أردنا أن نعرف كيف بدأت الأشياء؟ وكيف تستمر ؟وكيف سيكون مستقبلها ؟إن القرآن الكريم وحده هو الذي سيخبرنا ، ومن خلاله وحده سيعرفنا عن الرب الذي هو سيد الكون، سيفتح أمامنا الطبيعة المبهرة لأعماله، والقرآن الكريم يبين مدى قدرة الله وملكوته، ويصف بقوة ووضوح كبيرين سلطان الله القاهرة والمخفية لحتمية الشاملة لجميع العوالم. يعطينا تحديدا نهائيا في تكوين تلك الحقائق الميتافيزيقية التي تسحر اليد والعين،فهو لايوضح حقائق الوجود فحسب،بل إنه ينشئ معرضا مذهلا من صور الكلمات التي تجلب عالما غير مرئي أمام أعيننا. كما ليخبرنا القرآن الكريم عن وجود الله فحسب، بل يرسم أيضا صورة حية بشكل لايصدق للإله الذي له مقاليد الكون والتصرف فيه،كما لايخبرنا القرآن الكريم عن القيامة فحسب، بل يصف الآخرة بشكل بياني لدرجة أن أهواله أصبحت محفورة بعمق في وعينا.

هناك قصة معروفة لفنان يوناني، رسم مثل هذه الصورة الواقعية لعناقيد العنب التي تأتي الطيور وتنقر عليها، تصور في أنه إذا كان للوحة رسمها إنسان ،أن

يكون له مثل هذا التأثير الغير العادي.أي قمة لبراعة الفن التي ليس بمقدور رب العالمين أن يصل إليها، إنه منزل القرآن الذي عجز البشر أن يأتوا بمثله.

يستهل القرآن الكريم بقوله (الحمدلله رب العالمين) إن هذا الدعاء له أهمية كبيرة، ويعني: الثناء على الله الخالق، القائم على مخلوقاته والمالك للعوالم، والسيد القائم الجابر المدير لشؤون خلقه.

إن أعظم ما يحتاجه الإنسان هو أن يعرف منه نفسه، ومن أين أتى، وإلى أين سيذهب؟ وأين سيسخسر، وإذا نقل إلى منطقة ما في الفضاء حيث لايوجد هواء ولا ماء لن يكون هذا أمرا هينا على نفسه، بل هي مصيبة حيث وجد نفسه في عالم دون أي معرفة دقيقة باصله أو مصيره. والله أرحم وأشفق بخلقه أكثر من الأب بابنه. ولذلك من غير المتصور أن يعلم الله حاجة عباده ويهملهم هملا. ولذلك أوحى إليهم بواسطة الرسل بالعلم والبصيرة التي يجب أن يلمّ به الإنسان من أجل الإلمام بنفسه، وأنه أرسل هذه الرسالة السماوية بالنقل الشفهي إلى بني البشر، وهذه من منن الله العظيمة لعباده.

وإن الرجل ليدرك مدى احتياجه إلى عون بارئه سبحانه في اكتساب المعرفة الضرورية، سوف يشعر بقلبه يفيض بالامتنان والثناء على خالقه، عندما يرى ما منّ الله عليه من فضل في إنزال القرآن الكريم.

وقول الباري جل وعلا (الحمدلله رب العالمين) سوف ينبئه حدسه قائلا له: هذه أقوال عبد متذلل لمولاه الذي ألهمه بها. وحتى عندما يتعلق الأمر بكيفية خدمة الإنسان لربه، فإنه يحتاج إلى إرشاد من خالقهن وقد تكون الرغبة في العبادة

غريزية في حد ذاتها، لكن الشخص الذي يرغب في العبادة لايدري بأي طريقة يقوم بها.

ومع ذلك، فإن القرآن الكريم عالج هذا الموضوع بوضوح، بل وبيّن له بالدقة العبارات التي يجب أن يتلوها في هذا الخصوص، إن أدعية القرآن الكريم هي من أنبل العطايا. القرآن الكريم ليس كتابا بالمعنى العادي للكلمة،إنه بالأحرى سرد للجهود الأخيرة لإيصال رسالة الإسلام، منذ العصور الغابرة، كانت الرسل تبعث إلى الأمم منذ سالف الأزمان لبيان الحق من الضلال عبر أولئك الرسل.

ففي القرن السابع من العصر المسيحي، اقتضت إرادة الله سبحانه أن يرسل إلى البشرية على وجه البسيطة نوره المبين، ووبرهانه الساطع الذي به يبنى المجتمع على أساس من العلم والمعرفة التي تكون مصدرا للتنوير، ونموذجا يقتدي به البشر جمعاء إلى يوم القيامة.

ووفقا لهذا الهدف، بعث الله خاتم رسله في الجزيرة العربية، وأناط إليه مهمة تبليغ هذه الرسالة في أوساط العرب، وقد كُلّف الذين استجابو لدعوته بمهمة نشر رسالته إلى العالم أجمع، حاملين العلم الحقيقي لبناء مجتمع على أساسه.وقد كان صلى الله عليه وسلم ممتثلا بأمر ربه سبحانه، أنزل الله كلامه ووحيه على نبيه صلى الله عليه وسلم ،مبينا له ماسيدعوا إليه، وكما أيّده بالمعجزة والبرهان المطلوب تعزيزا لدعوته.

وعندما عارضه خصومه صلى الله عليه وسلم استطاع رد اعتراضاتهم بأجوبة مبهتة. وفي شأن أولئك الذين استجابوا لدعوته وأظهروا نوعا من الوهن، تمكن

صلى الله عليه وسلم تداركهم وإصلاحهم، إضافة على ذلك، فقد وضع القرآن الكريم قواعد الحرب والسلم، وأرسى مبادئ التربية والتوجيه.

والإسلام يسلي أتباعه في أوقات الشدائد،وعندما انتصروا في النهاية، قدم الإطار القانوني الذي يمكن بناء المجتمع على أساسه من جديد. وقد مرّ بذلك ثلاث وعشرون سنة من البداية وحتى النهاية مكللة بنور العلم والهداية من الله سبحانه. على شكل وصايا للبشرية، ولقد جمع هذه الوصايا لاحقا وفقا لخطته، حسب تسلسل معين، وهذه الوصايا المجموعة هي التي تسمى: القرآن الكريم.

إنه الكتاب الأصيل للدعوة الصادقة، الذي انطلق من الجزيرة العربية عليد خاتم رسله صلى الله عليه وسلم، الذي هداه ربه سبحانه إلى صراطه المستقيم طوال حياته كلها صلى الله عليه وسلم.

والقرآن الكريم عبارة عن مجموعة من التعليمات الإلهية الصادرة من الله لنشر الدعوة الإسلامية في أوقات متباينة على مدى ربع قرن تقريبا.

ولكن القرآن الكريم ليس مجرد كتاب تاريخي، إنه كلام الله، صالح لكل زمان ومكان،وأنزل في قالب تاريخي من أجل هداية البشر بشكل هادف، إنه كلام دائم حيث أنه سيقرر مصير البشر الصالحين أو السيئين في كل عصرن وفقا لإرادة الله، وقد أنزل القرآن الكريم منجما – متفرقا- على مدى فترة طويلة حسب الوقائع والأحداث، وعليه، فإن الأجزاء المختلفة للقرآن لم تأت صدفة، حيث أن الأجزاء المختلفة للقرآن كانت جزء من مصدر محكم ومنسق في عالم خارق للطبيعة،لأنها أنزلت وفق ما تقتضيه الظروف والأحوال،لم تكن في الأصل

في أي تسلسل منتظم عند نزولها. وبعد أن اكتملنزوله، تم جمعه وفق لنمط محدد لا نظير له في تناسقه، وبهذه الطريقة،فالقرآن الكريم مختلف تماما وبشكل واضح عن المقتطفات الأدبية المختارة من الخطب التي ألقاها القادة السياسيون في ذلك الوقت. وربما يمكننا الحصول على صورة أوضح عن كيفية جمع القرآنن إذا تخيلنا بشكل متواز لمصنع قيد الإنشاء في الهند،حيث يتم تصنيع المعدات في بعض البلدان في الخارج، يجب تصنيع هذه المعدات الخاصة بالمصنع في أجزاء منفصلة في وحدات إنتاج مختلفة، ثم يتم تحميل هذه الأجزاء في سفن مختلفة وإرسالها إلى الهند، وخلال مراحل بنائه المختلفة، سيظهر مصنعنا بالضرورة للمبتدئين ككتلة غير متجانسة وغير مكتملة، ولكن بمجرد تجميع أجزاء المعدات التي تم إحضارها في الشحنات المختلفة بشكل صحيح، وعنده سيتخذ المصنع شكله المتكامل،وعنئذ يصير جاهزا للتشغيل.

وبنفس الطريقة إلى حد بعيد، تم جمع القرآن الكريم من أجل إنتاج دستور أخلاقي متكامل ودائم للبشرية جمعاء. ولذلك على الرغم من تشكيلها من هذه العناصر المتباينة، إنه نموذج مذهل في التطابق والاتساق. وذلك لأنه حمل رسالة يحفز الإنسان على تحويل بيئة معادية إلى بيئة مواتية، والذي لزم كونه ينزل منجما وتدريجيا.

وبالتالي تلبية احتياجات الظروف المختلفة، ومن الناحية التاريخية، فهي عبارة عن مجموعة متنوعة من الأوامرن ولكن مخطط الإله القدير والمحيط بكل شيء علمه جعله فب نسق جيد زمحكم. لقد تم كتابة العديد من الكتب، في جميع فروع العلم، وفي كل المواضيع التي يمكن تصوره حتى الآن.

تمت طباعة ملايين الكتب ونشرها، وسيستغرق قراءتها جميعا أكثر من عمر الفرد. ولكن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي حتى لو تمكن المرء من دراسة جميع الكتب، ستظل تعاليمه ضرورة أساسية

في الواقع، يستطيع الفرد الإستفادة من دراسة الكتب الأخرى إذا كان المرء قد نال أولا من القرآن الكريم وحصل فيه حظا وفيرا، سيكون له منطلقا لكل الأمور ذات الأهمية، فبدون القرآن سيظل المرء مثل سفينة تطفو على بحر خضم بدون بوصلة. فهل يحتاج البشر إلى الوحي الإلهي لتوجيه مساره من تيه الضلال،وتشابكات الوجود البشري. وعليه، فالشخص الوحيد الذي يستطيع أن يشق طريقه عبر محيط هذه الحياة هو من حصل على نثيب وافر من النور الإلهي والهدى الرباني. ولذا، فإن المحرومين أو الذين امتنعوا أن يهتدوا بهديه سبحانه فإنه لامناص لهم من الغرق في قاع المحيط ويهوو في الشعاب المرجانية دون أن يتمكنوا على الإطلاق من الوصول بشؤونهم إلى نتيجة مرضية.

القرآن يملأ هذا الفراغ في الطبيعة البشرية والتي وجد الإنسان فيها نفسه في جميع فترات التاريخ على تناقض مع نفسه.

قال روسو: إنّ الإنسان ولدا حرا، ولكنه أنّى وجد نفسه يجدها مقيدة بالسلاسل.

أوّد أن أقول على العكس من ذلك،إن الإنسان قد ولد عبدا، ولكنه يسعى بطرق غير طبيعية إلى جعل نفسه سيدا، في الظاهر يبدو الإنسان مكتف ذاتيا، ولكن في أعماق ذاته فهو عبارة عن شبكة معقدة من الاحتياجات، ولذا

من أجل البقاء قيد الحياة، فإنه يحتاج إلى الهواء والماء ومحاصيل الأرض وبنفس الطريقة، من أجل الحفاظ على حياة الروح، فهو بحاجة إلى الدعم الخارجي.

يحتاج الإنسان غريزيا إلى دعامة يمكنه الاعتماد عليها في أوقات الشدة، ويحتاج إلى شيء قريب إليه للتذلل له تقديسا،شيء يمكنه تلبية احتياجاته عندما يكون في مأزق، من يسجد له شكرا عندماتأتيه السعادة من إليه.

والرجل الخارق في المحيط يحتاج إلى حبل للنجاة، والإنسان الذي يهيم على وجهه في هذا العالم العريض من غير أن يسبرغوره،يحتاج إلى حبل روحي يمكنه التمسك به.فلا أحد - مهما كان عظيما – يخلو من هذه الضرورة، إنه فراغ يجب ملؤه. إذا ملأنا هذا الفراغ بالكيان الإلهي، فإننا بذلك نسلك مسلك التوحيد.ولكن إذا تخلينا وابتعدنا عن الله،وتطلعنا إلى دعم آخر،فإننا بذلك سنكون مشركين بالله.والإنسان عبر تاريخ وجوده أبتلي للجوء إلى واحد أو أكثر من هاتين الدعامتي. وفي الأزل، المؤمنون يفوضون أمورهم إلى الله ومابرحو على هذه الحال وحتى يومنا هذا.

وقد كان كثير من الناس منذ القدم،وحتى الوقت الراهن،يعبدون معبودات كثيرة، كالنجوم،الساطعة،التي تلمع في السماء، والأشجار، والأحجار وغيرها من الأشياء المختارة عشوائيا.

واليوم،وجد محلها أشياء مثل: الأمة،والبلد،والتقدم المادي، والسلطة، والسياسة.هذه هي الآلهة المصطنعة من قبل البشر وذلك من أجل ملإ الفراغ المؤلم في قلوبهم،ولكن حتى مع كل هذا، لايزال الناس بحاجة إلى وجهة حقيقية في

صراع الحياة تتجاوز مستوى المادية الخالصة.وهم إلى الآن بحاجة إلى شيء ليملؤو قلوبهم بذكره، فتطمئن وتسكن، فترفع بذلك محتوياتهم،ولكن مثلما لم تقدم الأصنام المصنوعة من الأحجار أي دعم حقيقي أو مساعدة في الماضي، وكذا لم تقدم الأصنام التي حلت محلها اليوم أيا من ذلك،مثلما كانت الأصنام هشة القوى، وسريعة الزوال،فهي لا توفر للأمة أي قوة فعلية.

الألمان على سبيل المثال: قدّسو أمتهم، لكن بعيدا عن الوقوف إلى جانبهم،لقد أوصلهم إلى نقطة الدمار في الحرب العالمية الثانية.

وفعلت إيطاليا واليابان نفس الشئ،ولكن أصنامهما لم تستطيعا إنقاذ بلديهما من أن تكون مقبرة.

وقد اتخذت بريطانيا وفرنسا أيضا أصناما من مواردهما المادية، ولكن حتى ذلك الحين، تقلصت إمبراطوريتا البلدين بسرعة كبيرة، وأخير غربت الشمس على الإمبراطورية البريطانية، وهي إمبراطورية قيل عنها: إن الشمس لم تغرب عنها أبدا.

وقد أوضع لنا القرآن الكريم حيث تكمن القوة حقا في هذا العالم،وهو التمسك بحبل لاينفصم أبدا، وبدونه فليس لأحد قوة حقيقية في هذه الحياة.

علاوة على ذلك، فمن خلال ارتباطنا بربنا يمكننا كبشر الاعتصام بحبل الله الذي يربط بعضنا ببعض.

يوضح القرآن الكريم أن الله الواحد الأحد هو الذي يساندنا طوال حياتنا هنا على هذه الأرض،فمنه سبحانه نجد الراحة النفسية، والدفء الحقيقي في الحياة، وهو من يعصمنا من جميع أنواع الشرور،وهو من نلجأ إليه في أوقات الشدة والحاجة.

فالله يجازي بالكرامة والمجد من يطلب منه العون في الملمات، وعلى العكس فإن الخزي والعار جزاء من يهمل طاعته ويخون الله تعالى.

وأعلم أنك لو عرفت هذا المبدأ، فإنه يعني أنك ملكت مفتاح كنوز الحياة، فمن يملك هذا المفتاح يربح كل شيء،ومن خسره فقد حرم.

نحن نولي أهمية كبيرة للعلماء الذين اكتشفوا الطاقة الكهربائية والبخارية،ما يوفر للحضارة البشرية من فرص التقدم، ولكن عظمة الواقع الذي يصنعه هذا الكتاب أمامنا لايقاس،إنه لايمنحنا المعرفة بالآلات فحسب،بل يمنحنا معرفة بالبشر الذين صنعت من أجلهم كل هذه الآلات.يخبرنا عن الإنسان، والإنسان بدوره يتعلم منه سر الحياة الناجحة.

القرآن أولا قبل كل شيء، هو كلام الله تبارك وتعالى، لكل ملك مستنير دستور، فكذلك القرآن دستور من الله العلي القدير،سيد بني البشر، وملك الملوك.

بكل بساطة،القرآن هو كتاب للإرشاد والتوجيه،ينير الطريق الصحيح للإنسان،إنه نور يوجه خطواته المتعثرة بالوعظ والتذكير في الوقت المناسب بإذن

الله تبارك وتعالى. وهو الذي يوقظ الإنسان من غفلته المتأصلة فيه، ليسوقه إلى عتبة ربه سبحانه، إنه كتاب يعطي الحس الأخلاقي للتمييز بين الصواب والخطأ،ليشفيه هو ومجتمعه من كل العلل. فهو بهذا المعنى كتاب مفعم بالحكم والتعبير عن الفهم الصحيح. وفوق هذا كله،فهو كتاب قوانين يضع لنا الأسس التي نبني عليها المجتمع وننظمه. باختصار،إنه يوفر كل ما يحتاجه الإنسان – كفرد وكعضو في المجتمع –بدون هذا، لايقدر الإنسان مهما بذل من جهود أن يكون رابحا.

وهناك سؤال يطرح نفسه، كيف يمكن للإنسان أن يقيس ما إذا كان قد حسّن بالفعل علاقته مع الله أم لا.

هناك إجابة واحدة على هذا السؤال هو الإقبال بوجهه من قرارة نفسه،وأن يحكم على نفسه مدى علاقة نفسه بهذا القرآن الكريم لأن علاقة المرء بالقرآن الكريم هي انعكاس حقيقي لعلاقة المرء بربه، إن الدرجة التي يلتزم بها الرجل بمبادئ القرآن الكريم هي بعينها مؤشر قوي على ارتباطه بخالقه.

إذا كان القرآن الكريم هو الكتاب الذي يوليه اهتمامه وعندئذ سيكون الله أعز إليه من كل شيء،وإذا كان هناك كتاب آخر يحظى بتقدير أكبر لديه، فإن أهم شخص في حياته هو مؤلفه،وليس خالقه،فكما أنه من المستحيل أن تجد الرب الحقيقي في أي مكان غير القرآن،كذلك من المستحيل بعد أن يكتشف العبد ربه أن يكون هناك كتاب أكبر قداسة لديه غير القرآن. لأن القرآن الكريم كتاب

الله،وهو وحيه الذي بواسطته يصدر الأوامر لعباده وهو بمثابة رمز لله تبارك وتعالى في هذه الأرض.

إنه المعيار عن مدى إخلاص الإنسان لخالقه،وحينما يخشى العبد ألا يجد من يفوض إليه أمره في هذا الكون العجيب،فإن القرآن يهدأ عقله، وينير له وجهته ويوجهه إليه، وبهذا يكون العبد على صلة بربه على قدر تمسكه بالقرآن يشحن صاحبه بالقناعة التامة لمعرفة منزلته في هذه الحياة، وإعطائه قالبا ثابتا لمشاعره الغريزية الذي يدور في الحدس الباطني للإنسان عن ربه وخالقه،والقرآن يرسخ قدميه بشكل ثابت على طريق الهدى والاستسلام لله حتى يصيرا قريبا من ربه.

إن السعي في تحقيق مشيئة الله،فإن مجرد تلاوة القرآن الكريم لاتكفي، بل على المرء أن يغوص بعمق فيه،عندما يكون العبد على صلة وثيقة بالقرآن الكريم، وعندها فقط يمكن للعبد الوصول إلى أسمى المعاني التي يوفرها القرآن.

يجب على المرء أن يكون على صلة وثيقة بالقرآن وذلك بالتعهد الذي أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم،وذلك من أجل جني ثمارها.هذا الشعور بعظمة القرآن الكريم الكريم،وما يترتب عليه من الالتزام به،لايتأتى من خلال وسيط، أي قد يسمع المرء خطاب معلق أو عالم للقرآن الكريم،وقد يكون معجب به وبإنجازاته إلى حد كبير، ولكن هذه ليست الطريقة المثلى لتكوين ارتباط حقيقي بالقرآن الكريم نفسه. فليس بمقدور الفرد في تأصيل علاقة حقيقية بالقرآن حتى

يقرأ المرء كتاب الله بنفسه،ومن هناك يصل مباشرة إلى كنهه ومحتوياته، ومن هناك يبقى حكمته منقوشا على ذاكرته،فينجلي له حقيقته ويقدره حق قدره.

وليس هذا مجرد نسج من الخيال، لأنه مدعوم بعلم النفس الأساسي، على سبيل المثال:يمكن القول،إن الفرق بين الصوف القطني والحجر نسبي فقط، وأنهما في الواقع نفس الشيء، كلاهما في تحليله الأخير عبارة عن تراكمات من نفس النوع من الالكترونات، ولكن هذا الفرق أكاديمي بحت،حيث أنه في العالم الواقع،لايمكن اعتبار القطن إلا شيئا ناعما،والحجر إلا شيئا صلبا.

ولكنها ليست تعريفات سطحية أو مجردة التي تحدد الانطباع الذي يجب أن يكون لدى المرء عن المسألة المطروحة، ولكنه المعرفة التي يكتسبها من خلال التجربة الشخصية المباشرة.

الجزء الثاني: الحفاظ على القرآن الكريم

إن أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم هو قوله تعالى(إقرأ باسم ربك الذي خلق ....) والذي يؤكد أهمية العلم. وآخر مانزل عليه صلى الله عليه وسلم كان بخصوص الحياة الأخروية وهو قوله تعالى(واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ...) وقد نزل القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة، ودوّن بالكامل في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ،على الرغم من الآيات لم تكن مجمعة في مجلد واحد في ذلك الوقت) القطاني جـ صــ: ٣٨٤

خلال ثلاثة وعشرين سنة كان النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، مصدرالتلقي الأول لتعليم القرآن الكريم، ثمّ حمّل أتباعه من الصحابة مسؤولية نقل رسالة القرآن من بعده، كانوا هم ممن حفظوا القرآن الكريم حفظا متقنا، فأصبحوا مؤهلين لنقل تعاليم الإسلام من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ،ففي عهد خلافة عمر الفاروق الخليفة الثانية في الإسلام. جاء رجل من الكوفة إلى المدينة، وأخبر الخليفة أن هناك رجلا بالكوفة يعلم القرآن من حفظه ،فغضب عمر رضي الله عنه، ولكنه سرعان ما عاد إلى طبيعته، لما علم أن ذلك الشخص ليس أحدا إلا عبدالله بن مسعود(الاستيعاب جـ الأول، صفحة ٣٧٧) والسبب هو أن عبدالله بن مسعود كان ممن عينهم الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم لآداء هذه المهمة.

ومن أبرز القراء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

١- عثمان بن عفان، ٢- علي بن أبي طالب،أبي بن كعب، ٣- زيد بن ثابت، ٤- عبدالله بن مسعود، ٥- أبو الدرداء، ٦- أبو موسى الأشعري، ٧- سالم مولى أبي حذيفة رضوان الله عليهم أجمعين.

ومع ذلك، فإن هؤلاء المسلمين الذين تم تكليفهم بهذه، لايمكن بقاءهم إلى الأبد، ومما لاشك فيه أنهم سيغادرون هذه الحياة واحدا تلو الآخر، وعندها سوف يتعرض القرآن خطر الوقوع في أيدي أشخاص أقل مسؤولية ومعرفة والذين قد لايحافظون عليه كما هو، ومن شبه المؤكد، أنهم سيخالفون معناه الحقيقي،كان هناك خطر من حيث ضياعها بالكامل للأجيال القادمة مع وفاة ٧٠٠ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في معركة اليمامة عام ١٢هـ بدأ هذا الخطر يلوح في الأفق، وقد ورد في الوثائق التاريخية، أنه عندما استشهد سالم مولى أبي حذيفة، أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخطر المحدق بالقرآن، وعندها جاء إلى أبي بكر الصديق الخليفة الأول للمسلمين ليناقشه في المسألة (فتح الباري جـ ٩ صـ ٥)

كان سالم أحد الصحابة القلائل الباقين على قيد الحياة، ممن اختارهم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لنشر تعاليم القرآن الكريم. والحل الذي اقترحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه هو أن يصان القرآن الكريم من خلال جمعه رسميا على شكل مكتوب، كما ثبت عنه

صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بكتابة كل مانزل من القرآن الكريم بمجرد نزوله، هذه الكتابة (المرحلة) هي المسمى بـ (التدوين العام) كانت دقيقة للغاية لدرجة أنه بعد نزول الآية الخامسة والتسعين من سورة النساء قوله تعالى(لايستوي القاعدون من المؤمنين ... الآية ونزل بعدها قوله تعالى(غير أولي الضرر...) ملحق على الآية نفسها كانت قد رتبت على أن تكون هذه العبارة وفقا للإمام مالك مكتوبة في نفس الوهلة من قبل النساخ(الدر المنثورجـ٢. صـ ٢٠٣)

كان من المعتاد أن يطلب النبي صلى الله عليه وسلم من النساخ قراءة الآيات بعد تدوينها،ووفقا لما قاله زيد بن ثابت،أنه في حال لم تثبت أي جزء في الكتابة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يصححها ويسمح بنشر المكتوب بعد اكتمال عملية التصحيح (مجموع الزوائد المجلد الأول صـ ٦٠

كان عدد النساخ الذين قامو بهذه المهمة في فترات مختلفة ٤٢ حسب ما قاله ابن عبد البر، فإن حنظلة بن ربيع كان زعيم النساخ، وقد طلب منه ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم في جميع الأوقات(عقد الفريد المجلد ٤ صفحة ١١٤)

ومن حيث ضمان ترتيب الآي والسور، فإن عددا لابأس من الصحابة يملكون مقاطع من القرآن الكريم وذلك قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

وجدير بالذكر أربعة منهم: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد كان يملك هذا الأخير كامل القرآن بالترتيب المتداول بين أيدينا الآن.

وقد ثبت في الآحاديث الصحيحة أن جبريل الملك الموكل بالوحي هو نفسه من قام بهذا الترتيب للآيات.

ففي كل عام خلال شهر رمضان،كان جبريل عليه السلام يتدارس القرآن الكريم مع النبي صلى الله عليه وسلم، فيقرأ أمامه جميع الآيات القرآنية التي نزلت حتى ذلك الوقت، وذلك وفق الترتيب الذي عليه القرآن الكريم اليوم، ويكرر النبي صلى الله عليه وسلم ما تم مدارسته بنفس الترتيب، وقد سميت هذه العملية المزدوجة بـ (الإرجاع) وعند أهل الحديث (العرض المتبادل) وكما ثبت أن هفي السنة الأخيرة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد أن اكتمل الوحي، جاء جبريل عليه السلام، وعرض عليه القرآن كاملا بالترتيب الحالي مرتين أي تعهده معه مرتين، وكما تلا النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم مرتين، وهذا العرض الأخير يسمى: العرضة الأخيرة عند أهل الحديث(فتح الباري صـ ٦٥٩ – ٦٦٣) وبهذا العرض والمدارسة الذي دارسه جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم أصبح القرآن الكريم مرتبا بشكل منهجي، والنبي صلى الله عليه وسلم بدوره قام بعرض القرآن الكريم على أصحابه في مناسبات مختلفة بالترتيب المعهود عندنا اليوم، وبذلك حفظ

القرآن الكريم في شكله الأصلي في ذاكرة عشرات الآلاف من الصحابة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولقد مرّ حفظ القرآن الكريم بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: هي مجرد نزول سورة أو آية يتم تقييده كتابيا، والأدوات التالية هي أمثلة على أدوات الكتابة المستخدمة:

- **الرقاع**:قطعة جلدية رقيقة
- **اللخاف**: صفائح رقيقة من الحجر الأبيض
- **الكتف**: عظم كتف الجمل المستدير
- **العسيب**: وهو جريدة النخل، وهي الجزء العريض من جذر فرع النخل.

ويشار إلى **المرحلة الثانية** من هذه العملية في الحديث باسم: **التجميع**، وهذا يعني:أن هذه الآيات تم تقييدها في عهد النبي صلى الله عليه عند نزول القرآن الكريم،وعند اكتمال سورة معينة، وغالبا ما يأخذ عددا من مرات نزول الوحي حتى تكتمل السورة (المكتمل وغير المكتمل) بحوزة عدد كبير من الناس منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهناك حادثة مشهورة لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي ضرب أخته ضربا من غير مارحمة، لكونها اعتنقت الإسلام،وأخيرا لما هدئت غضبه، طلب منها أن يُرياه الكتاب الذي يقرآن فيه، وكان رد أخته أنه نجس، لايمكن

له مس المصحف في تلك الحالة،و بعد أن تطهر أعطته أخته المصحف (ابن هشام)

المرحلة الثالثة: من هذه العملية تدعى: مرحلة الجمع، وهي كتابة القرآن الكريم كله جميعا في مجلد واحد، لم يكن هناك سجل أو كتاب موحد يحتوي على صفحات موحدة في حجم موحد في زمنه صلى الله عليه وسلم،ووفقا لرواية البخاري، فإن أربعة فقط من الصحابة وهم: أبي بن كعب،ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت هم من جمعوا القرآن الكريم كله في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

ففي كتاب كنز العمال،يعطينا محمد بن كعب القرظي أسماء خمسة الذين جمعوا القرآن الكريم كاملا، ورغم ذلك، فإن جمعهم هذا لم يكن سوى جمع شخصي فحسب.

ومن ثمّ صدرت النسخة الرسمية بتوجيه من الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي قام بتغليفها بعد ترتيب جميع آياتها على أوراق مربعة من نفس الحجم، كما روى الإمام مالك رحمه الله نقلا عن مصدره: ابن الشهاب الزهري، الذي رواه عن سالم بن عبدالله بن عمر أن زيد بن ثابت كتب جميع القرآن الكريم في قراطيس(أوراق من نفس الحجم) بأمر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويسمى هذا المجلد بـ (المربع) (الإتقان : جـ الأول صـ ٨٤٨٥)

ويقال إنه في فترة خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهكان هناك أكثر من نسخة للقرآن الكريم متداولة في مصر، والعراق، وسوريا، واليمن، وغيرها. وفي فترات لاحقة، أصبح القرآن الكريم الكتوب المصدر الرئيسي لتعليم الإسلام،

ولكن ثمة خطر مازال كامنا، أنه حتى الاختلافات اليسيرة في الكتب المقدسة يمكن أن تصبح جدلا واسعان وكان يخشى إذا كتب الناس القرآن الكريم بشكل انفرادي، الاختلافات في الكتابة على سبيل المثال كتابة:"إيبيدر" بدل "إيدر" الانجليزيتين، وحال حدوث اختلاف مماثل في القراءة، فإن ذلك سينتج عنه اختلافا على نطاق واسع يصعب وضع حد لها، وعلى سبيل المثال: قد وردت روايات عدة في قراءة لفظ الجلالة (ملك) من سورة الفاتحة بطرق مختلفة وفقا للهجات القبائل المختلفة

"مالك يوم الدين" بمد الألف

"ملك يوم الدين" بإهمال المد بالألف

"مليك يوم الدين" المد بالياء بدل الألف

ومع مرور الزمن والتغييرات في أسلوب الكتابة، من المحتمل أن تصبح الاختلافات في المخطوطة مصدر اختلاف واسع، ولذلك وبناء على نصيحة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرر أبوبكر رضي الله عنه الحصول على على النسخة الأصلية من القرآن الكريم يتم إعدادها وجمعها تحت رعاية الدولة وبالتالي وضع حد نهائي لاحتمال وجود اختلافات صوتية تغيّب المعنى الحقيقي للنص.

ولهذا الغرض كان زيد بن ثابت هو الأكثر كفاءة، لأنه كان كاتب وحي للرسول صلى الله عليه وسلم، فانضك كل من زيد وأبي بن كعب في المراجعة الأخيرة، وذلك لسماعهما القرآن الكريم مباشرة من الرسول صلى الله عليه وسلم بالترتيب

الذي لايزال قائما حتى اليوم، لكنهم لم يكونوا قد حفظو القرآن الكريم فحسب بل امتلكوا أيضا النص القرآني بأكمله بشكله المكتوب.

وبأمر من الخليفة الأول بجمع كل ما هو مكتوب من أجزاء القرآن الكريم المخطوطة (البخاري) وبعد هذا المرسوم من الخليفة، أعلن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد أن من كان عنده أي جزء مكتوب من القرآن فليحضره، ويسلمها إلى زيد بن ثابت، وجدير بالذكر أنه خلال الخلافة الأولى لم يكن القرآن الكريم موجودا فقط في شكل مكتوب على لحاء النخيل، والحجر، والجلد وماشاكل ذلك، ولكن تم حفظه في أذهان الصحابة رضوان الله عليهم، والقرآن الكريم عندما تم تحويله إلى كتاب مرتب حفظ الصحابة له، وبقي محفوظا على ذلك المنوال إلى يومنا هذا، وكان عمل زيد رضي الله عنه عملية تجميع أكثر منها عملية جمع، وهذا يعني أن أجزاء مفرقة من القرآن المخطوطة تم جمعها من قبله، ليس فقط ليتم تجميعها وتثبيتها في مجلد واحد، ولكن ليتم اتخاذها كنموذج لقياس مدى صحة ما سيتم حفظه عبر التلقي الشفهي من طرف عدد لايحصى من الناس. فبمجرد إثبات هذا التوفيق بين النموذج الشفوي والمكتوب من القرآن الكريم بما لايدع مجالا للشك، شرع زيد في كتابة الآيات القرآنية على الورق بترتيبها المعهود، وقد كتب حارث المحاصبي في كتابه(فهم السنن) أن نسخ القرآن الكريم لم يكن جديدا، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه قد أمر بكتابته،ولكنه كان مكتوبا بشكل منفصل على الرقاع واللخاف،والكتف، والعسيب إلى غير ذلك من الوسائل، كانت هذه الأدوات التي كتب عليها القرآن الكريم متوفرة في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها كانت متفرقة، وليست

على سجل سجل موحد، وكل الذي قام به الجامع هو تجميع كل هذه الأدوات والأجزاء التي كتب عليها القرآن الكريم ثم ربطها حتى لايتلف أي جزء منها(الاتقان جـ ١ صـ ٤٠)

وتم إجراء هذا الترتيب الدقيق للقرآن الكريم حتى لايكون هناك أدنى تناقض مع الوحي المنزل، ولأنه إذا لم يتم اتخاذ هذه العناية الفائقة، لكانت الاختلافات ناتجة عن أدنى هفوة في الحفظ والنسخ، وعلى سبيل المثال: لما قرأ قوله تعالى(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان..) فرفع الأنصار ولم يلحق الواوفي الذين فقال له زيد بن ثابت (والذين اتبعوهم بإحسان) فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (الذين اتبعوهم بإحسان) فقال زيد أمير المؤمنين أعلم، فقال عمر، ائتونيبأبي بن كعب، فساله فقال أبي رضي الله عنه(والذين اتبعوهم بإحسان)

فبدأ التحقيق، وأخيرا أكدّ الحفظة الآخرون رواية زيد بن ثابت وأنه على الصواب، ومن هناك أثبتوا الواو في السجل المكتوب.

في الماضي، عندما كانت الطريقة المقبولة لنشر موضوع كتاب ما،هي حفظه ثم قراءته، وبخصوص القرآن الكريم، كان أمرا استثنائيا للغاية، حيث تمت كتابته أولا ومن ثم حفظه، وهذا مثل وجود نظام فحص مزدوج، حيث يمكن مقارنة الذاكرة بالإضافة إلى الحروف والكلمات المكتوبة، والكلمات المكتوبة بالإضافة إلى الذاكرة باستمرار.

وبعد أن أعدّ زيد بن ثابت القرآن الكريم كاملا وربطها على شكل كتاب، تم حرق جميع المواد الأخرى التي تم جمعها من الصحابة لغرض المقارنة والتدقيق وإعادة المقارنة.

وتم على فوره تسليم المجلد القرآني إلى الخليفة، وبعد موته بقي مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وبعده بقي في عهدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه،كثرت الفتوحات على نطاق واسع، وكثر عدد المسلمين بشكل مذهل، وبالتالي، فإن الصحابة الذين علموا القرآن الكريم قد انتشروا في بلدان مختلفة التي صارت تحت حضن الإسلام، على سبيل المثال: قرأ السوريون القرآن على قراءة أبي بن كعب،والكوفيون على عبدالله بن مسعود، والعراقيون على أبي موسى الأشعري. ومع ذلك ظهرت الخلافات مرة أخرى بسبب الاختلافات في اللهجة، وأساليب الكتابة،حتى أصبح بعضهم ينادي البعض الآخر بالزندقة، بسبب هذه الاختلافات.

كتب ابن أبي داود كتابه المصاحف نقلا عن يزيد بن معاوية النخعي، أنه ذات مرة (كان حذيفة بن اليمان حاضرا في مسجد الكوفة، وجد جماعة يقرءون، وقرأ أحدهم آية معينة فقال: فقال هذه هي قراءة عبدالله مسعود رضي الله عنه،وقرأه آخر بلهجة مغايرة، فقال هذه قراءة أبي موسى الأشعري، فغضب بذلك حذيفة وقام يعظهم قائلا:لقد اختلف الذين من قبلكم مثل اختلافكم،لأبلغنّا الخليفة عثمان بن عفان راكبا، وقد كان حذيفة ضابطا عسكريا في أرمينيا، وأذربيجان وعاد لتوه

من القتال، ولكن عندما وصل إلى المدينة المنورة، وشهد المشهد في المسجد النبوي فبدل أن يذهب مباشرة إلى بيته، ذهب مباشرة إلى الخليفة الثالث: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وخاطبه قائلا: ياأمير المؤمنين تدارك الناي قبل أن يقعوا ضحية الخلافات المتعلقة بكتاب الله تعالى، كما فعل اليهود والنصارى.

ففي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله، دخل العجم الذين لايفصحون النطق بالعربية باللهجة واللغة الصحيحة، وحتى القبائل العربية المختلفة كانت لها لهجات ونطق مختلفة، ومن تباين تلاوة القرآن، وكانت النتيجة أن القرآن بدأ يكتب وفقا لنطق مختلف، كتب ابن قتيبة أن قبيلة بني هذيل كانت تنطق "حتى" بـ "أتى" وبما أن ابن مسعود ينتمي إلى هذه القبيلة، ولم ير أفرادها أي سبب للخروج عن هذا اللفظ، وقد انعكست هذه الاختلافات في التلاوة في نسخ القرآن، هذه ليست سوى واحدة من العديد من الأمثلة المماثلة.

بالنظر غلى هذه الأوضاع، فإن عثمان بن عفان رضي الله عنه كما حذيفة بن اليمان كان لديه نسخة من المصحف الذي جمعه أبوبكر رضي الله عنه، وكما أرسل إلى كل مصر من الأمصار نسخة واحدة، وعهد هذه المهمة مرة أخرى إلى زيد بن ثابت الأنصاري، وكان قد اختار أحدعشر شخصا لمساعدته.

وبحسب أمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه،وقد قامت اللجنة بتدوين القرآن الكريم طبقا للهجة قريش ليكون بذلك مطابقا للهجة النبي صلى الله عليه وسلم.

أمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لاحقا بتسليم جميع نسخ القرآن الأخرى التي كتبها الناس بأنفسهم إلى الدولةن ومن ثم أمر الخليفة بحرقه، وبهذه الطريقة، تم توحيد جميع نسخ القرآن الكريم كتابيا، ومنذ ذلك الحين، أخذ الاختلافات الطبيعية في الاعتبار.

ونظرا لأن جميع الناس لايقدرون تلاوة القرآن الكريم برواية واحدة،فقد تم الإذن بتلاوة القرآن الكريم بسبع روايات ولهجات مختلفة،وبهذا يرى بأن أبي بكر قد قام بجمع القرآن الكريم خلال عام واحد من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تم إنتاج النسخ التي أمر بإعدادها عثمان بن عفان خلال خمسة عشر عاما من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، هذه النسخ من القرآن الكريم المنسوخة بعناية ودقة فائقة، تم تناقلها من جيل إلى جيل، حتى بزوغ عصر الصحافة، ثم تم إنشاء العديد من المطابع في العالم الإسلامي، حيث تم استنساخ الخط الجميل للقرآن الكريم بعد أن تم التصديق والتحقق على محتواه من قبل حفظة القرآن الكريم. وهكذا مرة أخرى بمشاعدة النسخ المحفوظة والنصوص المكتوبة، تم إعداد نسخ صحيحة وأصلية، ثم مع نشر هذه النسخ على نطاق واسع، وانتشر القرآن الكريم في جميع أنحاء العالم.

إنها حقيقة لايمكن دحضها،اعترف بها المستشرقون قائلين:إن أي نسخة من القرآن الكريم، وجد في أي جزء من العالم وفي أي وقت، ستكون بالضبط نفس تلك التي تركه فينا الرسول صلى الله عليه وسلم في أيامه الأخيرة مرتبا في شكله الأصيل وحتى يومنا هذا.

الفصل الثاني

الترتيب الرباني

وكّل الله اليهود حفظ كتابهم المقدس: التوراة على أنفسهم وعليه، فإن مسؤولية الحفظ على هذه الكتب المقدسة السابقة تقع على عاتق أتباعها، وفي حين أن الله هو الذي تكفل بحفظ القرآن الكريم كما هو قال تعالى(**إنانحن نزلنا الذكرن وإنا له لحافظون**)

كانت الكتب المقدسة السابقة منزلة من عند الله كما هو الحال مع القرآن الكريم، والفرق الوحيد هو أن الذين كلفوا بحفظها ورعايتها ففشلوا في مهمتهم،أما القرآن الكريم الذي تكفل الله بصيانته، وأن يوفر عنايته الإلهية الخاصة من أجل حفظه، فقد تحقق ذلك، حيث بقي بقي على حاله الأصيل، ولكن هذا لايعني أن الملائكة ستنزل من السماء لحفظ هذا القرآن الكريم، إن الحياة امتحان وابتلاء،وإن حقائق الآخرة تظل في الغيبيات في هذه الحياة، وعليه، فإن الملائكة لن تنزل من السماء من أجل حماية القرآن.

كل هذ الاشياء تتحقق في هذا العالم في ظل ظروف طبيعية، وليست استثنائية ،فإذن علينا أن نقوم بهذه المهمة كبشر عاديين، ومن خلال العمليات التاريخية، ومن غير أن نستشف الغيب أو نرفع الحجاب عنه. تؤكد الأحداث عب التاريخ البشري وفاء الله بوعده، ولقد سخر الله للمسلمين، وغيرالمسلمين، وكذا الأفراد والمجتمعات في هذه الخدمة.

فيما يتعلق بالأنبياء السابقين، لم يجدوا العدد الكافي من الأتباع لتوفير الحماية المطلوبة لحفظ الكتب المقدسةن ولكن الأمر يختلف مع نبي الإسلام بشكل واضح عن حالة الأنبياء السابقين بمناسبة حجة الوداع، آخر حجّ حجه الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي أدّاها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل شهرين ونصف من وفاته، رافقه مائة وأربعون ألف مسلم في عرصات عرفات. ويمكن للمرء أن يتخيل من هذا أنه مع قرب نهاية حياته صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون عدد المسلمين جميعا خمسمائة ألف، هذا الرقم كبير جدا، بإعتبار أن عدد سكان العالم فير العصور القديمة أقل بكثير مما هو عليه اليومن وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم، ازداد هذا العدد مع دخول الأمم في الإسلام.

وبهذه الطريقة ظهرت مجموعة بشرية ضخمة لم تكن موجودة من قبل لحماية أي كتب مقدسة أخرى، فالفتوحات داخل وخارج شبه الجزيزة العربية والتي من خلالها سيطر المسلمون تدريجيا على مساحة شاسعة مأهولة من العالم القديم،وأسسوا أكبر وأقوى إمبراطورية التي كانت أقوى من أن تقهر من قبل أي قوة أخرىن ولذا استطاعت أن تصون أصالة القرآن الكريم، وتقاوم كل الهجمات لأكثر من ألف عام. ثم مع ظهور عصر الصحافة تم استبعاد احتمالية إتلاف القرآن الكريمن ففي عصر الصحافة، أصبح من الممكن طباعة مليون نسخة من مخطوط واحد، وهو أمر مستحيل في العصور القديمة، عندما كانت كل نسخة مكتوبة بخط اليد على حدة، ولهذا اختلفت نسخة عن نسخة أخرى إلى حد ما، وهذا ماحدث مع جميع الكتب القديمة، والحال مع القرآن فقط، الذي كتبت عشرات الآلاف من نسخه بشكل منفصل قبل عصر المطبعة، (لايزال عدد كبير من النسخ متاحا في المتاحف

والمكتبات) والمثير للدهشة، لم يكن هناك أدنى فرق بين مخطوطة واحدة وأخرى. فإذا أصبح المسلمون متيقظين وحساسين للحفاظ على كمال القرآن فذلك بسبب عون الله تعالى.

إلى جانب هذا، كان هناك ترتيب إلهي آخر ،هذا هو الأسلوب الفريد في حفظ النص كله في الذاكرة، وهو أسلوب مورس مع القرآن الكريم، وهي طريقة لم يتك تطبيقها من قبل على اي كتاب آخر في تاريخ البشرية، حيث هيّأ الله لمئات الآلاف من الناس لحفظ كتابه الكريم عن ظهر قلب من جلد إلى جلد منذ نزول القرآن الكريم إلى يومنا هذا، يوجد آلاف من القراء والحفظة الذين جمعو القرآن كله عن ظهر قلب ،وهؤلاء موجودون في كل جيل.

يخبرنا التاريخ أنه لايوجد كتاب آخرأظهر أتباعه عناية فائقة في حفظ نصه غير القرآن الكريم،حيث حفظ القرآن من الضياع بسبب ممارسة حفظه عن ظهر قلب. وقد أطلق المستشرق الفرنسي على هذا النظام الفريد اسم " المراجعة المزدوجة" أي مطابقة محتويات نسخة مع أخرى، ثم فحصها مرة أخرى من الذاكرة ، كل العمليات المتّبعة لحماية القرآن منذ ١٥٠٠ عام من التاريخ الإسلامي، حدث بفضل الله سبحانه وعونه، ومع ذلك ولكي يبقى هذه الحياة دار امتحان وابتلاء للبشر، حدث كل ماذكر تحت علم غيب الله القدير، أي على الرغم من أن الله هو الذي بيده مقاليد التصرف في الكون والناس،فقد ظل في عالمه الغيبي، وذلك أن الإنسان يمر باختبار في هذه الدار ويوم القيامة، حين تبلى السرائر، وتكشف الحقائق وعنده، يرى الناس كيف يدير الله سبحانه دفة المهمة بشكل

مباشر في حفظه لكتابه منذ بداسة الثورة الإسلامية إلى ظهور الصحافة التي سهلت بأسلوبها الأكثر تطورا في النسخ للانتشار السريع لرسالة الله تبارك وتعالى، هناك جانب حيوي آخرلهذا الترتيب الإلهي الخاص للاستمرار الأبدي للقرآن الكريم البقاء الأبدي للقرآن الكريم، لم يأمر الله عباده المؤمنين بحفظ نصوص كتابه فحسب، ولكن الأهم من ذلك، الحفاظ على معانيه، وتدبر آي، في حين أن اختبار العباد السابقين حيال الكتب المقدسة، يكمن في إدامة الصياغة الدقيقة لنصوص كتبهم، والاختبار الحقيقي للأمة المسلمة يكمن في الحفاظ على معنى القرآن الكريم، حين فشل الأمم السابقة قبل الإسلام في اختبارهم، تكفل الله مسؤولية حفظ القرآن الكريم سليما كقضية اختبار إلهي يجب على المسلمين ألا يحيدوا عن النص أو في تفسيرهم له، وتوضيحاتهم لمعاني القرآن،والتقيد والامتثال والالتزام والحفاظ بكل ماأمر الله به أو نهى عنه في القرآن الكريم، وفي تعليقاتهم، عليهم أن يحرصوا بشدة على عدم إحداث أي تغيير في الثوابتن لأن ذلك سيكون بمثابة تغيير لأهداف النص القرآني المقدس.

وفي حال بيان القرآن الكريم وعرضه للآخرين يجب أن ينقل ما أكّده القرآن فحسب لا أقل ولاأكثر.

إن فشل المسلمين الذين هم أهل القرآن، يكمن في نسيانهم، واستغلال القرآن الكريم ببساطة كنعمة مهداة بدل كونه كتاب هداية، وعندما وصل انحطاط بالمسلمين إلى هذه الدرجة سيصبحوا بعيدين عن روح الإسلام وتعاليمه السامية، إذا كانوا ينظرون إلى دينهم وكتابهم المقدس على أنهما مدعاتان للفخر الوطني فحسب، وبينما ينخرط آخرون في أنشطة استعراضية باسم الإسلامن ومع ذلك

يستغلها آخرون لتحقيق مكاسب سياسية، وحتى لو كانت هذه الأنشطة لاتتعارض مع تعاليم الإسلام والقرآن الكريم، كلها انحرافات عن المبادئ المقدسة، وعند إصرارهم على الانخراط في مثل هذه الأنشطة، فإنهم لن يفلتوا من غضب الله، فإنهم متى ما اقتنعوا بأنهم قد نجوا في هذه الحياة، بدفاعهم عن كتاب الله، فهم مخطؤون بشكل فادح، وعليه، فعاقبة تحريف معاني النص القرآني خارج نطاق المعهود، ستكون وخيمة عليهم.

ويجب أن يكون مفهوما بوضوح أن المسلمين سيحمّلون مسؤولية تأدية معاني النصوص القرآنية، كما حمّل الأمم السابقة مسؤولية تحريف صياغة نصوص كتبهم المقدسة. ومن هذا المنطلق، فإن المسلمين دوما في اختبار بعد إذا ماغيّروا معنى القرآن الكريم بتفاسيرهم المزعومة، فلا مناص لأحد من العقاب تورط في فعل مثل ذلك بذريعة أنهم لم يغيروا شيئا في النص، لن يختبر أحد مالم يمنح حرية التصرف، المسلمون أحرار في تفسير النص، ولكن ليس في تغييره، ويجب على المرء أن يدرك هذه النقطة التي مفادها أن العقوبة التي عوقب بها الأمم السابقة من أهل الكتاب لتغيير صياغة النص الإلهي، سوف يلحق بنا كمسلمين إذا غيّرنا النص، وهنا يكمن تمحيص المسلمين إذا قامو ا من خلال تفاسيرهم المزعومة بتغيير معنى النص، فلن يفلتوا من العقاب الإلهي لمجرد أنهم لم يغيّروا حقيقة النص القرآني.

وذلك لأن اختبار الإنسان يكمن في دائرة سلطته، ولأنه يحرم تحريف نصوص القرآن الكريم، والذي من المحتمل وقوعه لدى المسلمين هو تغيير معناه، ومن هذه النقطة بالذات سيكون على عاتقهم تحمل المسؤولية.

الحقيقة الخالدة

إن نبي موسى عليه السلام ولد في مصر في القرن الخامس قبل الميلاد، اختاره الله واصطفاه لرسالته، وفي تلك الحقبة ،كانت مصر تحت نفوذ سلالة الفراعنة، المشركين، وقد عاصر موسى اثنين من ملوك هذه السلالة،وقد شاء الله أن جعل أحدهما وصيّا له، في حين أن الآخر صار معاديا له أثناء أداء مهمة رسالته.

وعندما عرض موسى عليه السلام رسالة الحق الإلهية على فرعون الأخير، ثار عليه ليثبت صدق رسالته،وقد أيّد الله رسوله حيث أعطاه معجزة العصا الذي ينقلب ثعبان إذا ألقاه، وكان ردة فعل فرعون أنه مجرد سحر ساحر، وأن قومه يمكنهم القيام بنفس الأعمال، وبهذه المناسبة أمر فرعون بأن يجمع له جميع سحرة مصر على موعد يوم عيد وطني، وذلك من أجل إبطال مفعول معجزة موسى عليه السلام، بإظهار مهاراتهم الفائقة في السحر. وفي الموعد المحدد، اجتمع أشهر السحرة من جميع أنحاء البلاد في الديوان الملكي،وعندما وصل موسى عليه السلام،لم يغلب سحرة البلاط الملكي بمزيد من المعجزات فحسب، بل ألقى أيضا خطابا مهما للغاية وجزء من هذا الخطاب حكاه لنا القرآن الكريم في قوله تعالى(**فلمّا ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إنّ الله لايصلح عمل المفسدين**) **سورة يونس ٨١ - ٨٢**

إنما قاله نبي الله موسى عليه السلام في ذلك الوقت إنما هو في الواقع إعلان لحكم الله الأبدي، في عالمنا الحاضر، قد منح الإنسان حرية الاختيار وذلك ابتلاء من الله له، نتيجة لذلك، أتيحت الفرصة للكذب لتشويه الحالة الإنسانية،لكن صعود

الباطل هذا وتشويهه للحق ليس سوى مرحلة مؤقتة،لأن نظام العالم كامل لدرجة أنه لايقبل الكذب ليدوم لفترة طويلة،وبعد فترة من الزمن الحق يأتي يظهر ليرفض كل زيف، إنها الحقيقة، فالحقيقة وحدها هي التي ستدوم.

إن سنّة الله التي قد مضت في الأمم السابقة، هي نفسها الماضية اليوم، ولهذا السبب فإن سحرالسحرة بطل بالمعجزة التي أعطاها الله لموسى عليه السلام، إن هذه الظاهرة الكونية في أن الحق دوما يعلوا على الباطل قد تكررعلى مرالعصوروبطرق مختلفة. وفي الوقت الحاضر، قد حقق الله ذلك من خلال المعرفة الإنسانية والعلم، حيث أصبح من الممكن إثبات عدم ظهور الباطل على الحقيقة الإلهية بشكل نهائي. ومن خلال الوحي القرآني، فإن الأحداث التي ستكتشف مذكورة في الآيات التالية: قال تعالى(**سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد**) وقد علّق ابن كثير رحمه الله مفسّرا لهذه الآية قائلا: سَنُظْهِرُ لَهُمْ دَلَالَاتِنَا وحُجَجنا عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ حَقًّا مُنَزَّلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَلَائِلَ خَارِجِيَّة.

يجب النظر بإمعان إلى الآية السابقة في سياق خطابه للآجيال القادمة، لأن الله كلام الله سبحانه الذي علم يعلم من مر من الأجيال المتلاحقة، فهو يخاطب كل شعوب الحاضر، والماضي، والمستقبل، وكما تؤكد الآية السابقة، أن كل ما أوحاه الله على الأمم من الآيات في وقته، سوف تثبت حقيقتها في المستقبل، وذلك من خلال التقدم في المعرفة البشرية، إنّماهو مجرد مسألة مؤكدة اليوم، سيصبح حقيقة واقعية في المستقبل.

وقد ثبت ما أخبر به القرآن الكريم بكل صدق، ففي ما مضى، لما عارض السحرة الحق بالسحر، أبطل الله سحرهم، فوقع الحق وبطل السحر.وفي الآونة الأخيرة، لما طرحت قضية الإلحاد الذي لا أساس له ليستند إليه، وقد أمهل الله بأن جعل كل الحجج لصالحه تتلاشى، وبنفس الطريقة، فإن كل ما اعترض دون الحق يتم رفعه وهدمه بنفس الطريقة، فالسنن الكونية لا تتبدل،ليحق الله الحق فيعلوا، ويبطل الباطل فيظل في أسفل السافلين.

تمت بحمدالله